

santamariaegypt.org

مطرانية الزقازيق ومنيا القمح  
للأقباط الأرثوذكس  
كنيسة السيدة العذراء  
وماريوحنا بالزقازيق

# التوبة واقتناء الفضائل

بنعمة الله

الأنبا ياكوبوس

أسقف الزقازيق ومنيا القمح

## مقدمة

**التوبة :** هي الطريق المؤدى إلى الملكوت الذي وعد به الرب . فالملكوت يقترب نحو الإنسان الذي ينشد التوبة وله رغبة أكيدة فى تغيير حياته ، إذ يرفع نظره نحو السماء ، ويتجه بقلبه نحو محبة الله التي تتدفق نحوه لتغمر قلبه وتملك عليه .

والحب الالهى هو الذي يحرق كافة أشواك الخطية الخائفة للنفس ونار الحب الإلهي تطهر القلب من كل شروره وشهواته ونجاساته فيصير القلب نقياً ، يعاين الله كما قال الرب يسوع في الموعظة على الجبل : " **طوبى للأتقياء القلب . لأنهم يعاينون الله (مت ٥ : ٨) .**

والتوبة تفريغ وامتلاء بغير انقطاع ، ترك وأخذ ، جوع وشبع فى نفس الوقت .

التوبة تفريغ للخطية وعنصر الشر الذي فينا وامتلاء من النعمة والبر ، ترك العالم بكل ما فيه من أمور مادية

وشهوات عالمية ، ورغبات جسدية ، وأخذ مواهب الروح  
وغنى الملكوت. جوع من خبز الجسد وشبع من خبز  
الحياة . نجوع إلى يسوع الذي قال بفمه المبارك : " أنا  
هو خبز الحياة . من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي  
فلا يعطش أبداً " . ( يوحنا : ٦ : ٣٥ ) .

الله الآب السماوي المحب لكل نفس تائبة توبة صادقة  
راجعة بالحب إلى أحضانه ، يريدنا أن نعيش في حالة  
شبع وفرح وتهليل وتمتع بالأبدية .

الإنسان التائب الحقيقي يسلك هنا بفكر سمائي ، معلناً  
ذلك في حياته المنظورة أمام الناس لتمجيد الآب السماوي .  
**التوبة** تغيير الكيان الداخلي للإنسان وتنقية للقلب  
فيصير داخله ملكوتاً . ولا تزال التوبة في كل حين وحتى  
هذه الساعة هي الطريق الوحيد الذي يوصلنا إلى التعرف  
على شخصية المسيح ، فمن خلال ضغطة الحزن على  
الخطية والإحساس بالندم القاتل نستكشف رحمة ربنا

يسوع وقيمة دمه وقدره لاهوته على الإقامة من الموت  
والإنقاذ من الهاوية !! ..

وإذا لم نقف على خطر الخطية العاملة فينا ونشعر في  
أعمقنا بسر الإثم ، لن نقف يوماً على قيمة الدم الإلهي ،  
ولن نشعر أبداً بسر الفداء !! .

وإن كنا لا نفحص ضمائرنا ونلومها وننازع أنفسنا عن  
قبائح حياتنا الداخلية وندينها، ونكتشف في أخطائنا وشهواتنا  
وعيوبنا ونجاساتنا حقيقة أنفسنا ، فلن نشعر بأي حاجة  
إلى المسيح ، ولن نجد ضرورة ملحة للتعرف عليه ويظل  
لاهورته مجرد موضوع للإيمان يزداد ويتناقص بمقدار  
البرهان الفكري . وقبوله بمنطق العقل .

أما الدم المسفوك على الصليب فيبدو وكأنه بلا داع ، أو  
كأنه لازمة من لوازم قصة الصليب وحسب !! . ولكن  
يالجلال الرب للقلب التائب!! . ويالقوة الدم للضمير الذي  
يئن من ثقل الخطية !! . حينما تبلغ النفس إلى حقيقة ذاتها

بعد أن تكون واجهت خطئها بشجاعة وصمود دون تهرب أو اعتذار أو عطف كاذب على النفس المراوغة والتي تحاول بخداعها تحت ستار البر الذاتي أن تهرب من مواجهة خطأها حينئذ لا ترى مفراً من السقوط تحت خشبة الصليب !! .

ولا تعود ترى يسوع موضوعاً فكرياً للإيمان بل حقيقة لنجاة من الموت و خلاص من الهاوية ..

الخاطئ يسعى بتوبته لميراث الملكوت ، ولا يملك إلا قوة الدعوة التي حظي بها ، كبرهان اختيار ونعمة ، تحوى في داخلها سر الدم الإلهي القادر أن يغسل ويطهر ويقدم إلى التمام وحتى النهاية بدون نقص أو عجز أو ملل من جهة الله .

التوبة تقود الإنسان إلى الاعتراف الحقيقي ، فيقر التائب بكل خطاياها التي اقترفها ، وآثامه التي ارتكبها وشروبه التي صنعها أمام الله بانسحاق وتذلل أمام الأب الكاهن الذي هو شاهد أمين على صدق توبته وإذا كانت

توبة حقيقية ولها فاعلية في حياة التائب ، فهي تقوده إلى  
الجهاد الروحي لاقتناء الفضائل التي هي ثمار للتوبة .  
والروح القدس له عمل أساسي لاقتناء الفضائل .  
والنعمة تسند الإنسان التائب لكي ينمو في الفضيلة .  
والفضائل تظهر واضحة أمام الناس . وتكون لتمجيد  
اسم الله القدوس . والذات عائق في اكتساب الفضائل  
وتوقف نموها . لأن التائب الذي يشعر بذاته ، يدفع النعمة  
للتخلي عنه . لذلك يلزم التائب أن يبغض ذاته ويلزم  
الاتضاع . لأن الاتضاع جوهر أساسي لاقتناء الفضائل .  
فالتائب الذي يفتنى ثوب التوبة النقي لا بد أن يتزين  
بالفضائل فيظهر مضيئاً وينتهي التائب إلى ملكوت السموات  
بين يديك أيها القارئ العزيز والمحبيب لدى الله  
كتاب : التوبة واقتناء الفضائل يحتوى على عدة فصول  
توضح ما هي التوبة ودعوة إلى التوبة وكيف تتوب .

وكيف تعترف اعترافاً صادقاً وكيف يجاهد الإنسان التائب روحياً لاقتناء الفضائل .

طالبين من الرب أن يكون هذا الكتاب سبب بركة ودافع قوى لحياة التوبة واقتناء الفضائل الروحية . لكل السائرين على طريق الملكوت ، ومتطعين إلى الحياة الأبدية .  
بشفاعة والدة الإله القديسة مريم العذراء وسائر الملائكة النورانيين والرسل الأطهار والشهداء والقديسين وبصلوات صاحب الغبطة والقداسة :

### البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطيريك الكرازة المرقسية وسائر أفريقيا  
والخمس المدن الغربية وبلاد المهجر .  
ونقدم لإلهنا القدوس كل التسبيح والتمجيد والسجود في  
كنيسته المقدسة . آمين

بنعمة الله

الأنبا ياكوبوس

اسقف الزقازيق ومنيا القمح

[santamariaegypt.org](http://santamariaegypt.org)

## الباب الأول :

# التوبة

الفصل الأول :

**ما هي التوبة؟!**

## + ما هي التوبة ؟ !

" توبوا لأنه اقترب ملكوت السموات . " {مت ٣ : ٢}

(١) التوبة هي رجوع إلى الله :

" ارجعوا إلىَّ ارجع اليكم قال رب الجنود " (ملا ٣ : ٧) .

وما دامت الخطية خصومة مع الله ، تكون التوبة هي صلح مع الله .

(٢) تصالح مع الله :

" إذ نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا .

نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله . " {٢كو ٥ : ٢٠} .

(٣) التوبة هي يقظة روحية : " هذا وإنكم عارفون

الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم . فإن خلاصنا

الآن أقرب مما كان حين آمننا . "

(رو ١٣ : ١١)

(٤) التوبة انتقال من الموت إلى الحياة .

" لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات  
فيضئ لك المسيح " ( أف ٥ : ١٤ ) .

" فليعلم أن من رد خاطئاً عن ضلال طريقه يخلص نفسه  
من الموت ويستر كثرة من الخطايا " ( يع ٥ : ٢٠ ) .

(٥) التوبة هي قلب جديد طاهر يمنحه الرب للخطاة  
يحبونه به .

" وارش عليكم ماءً طاهراً فتطهرون من كل نجاساتكم  
ومن كل أصنامكم أطهركم . وأعطيكم قلباً جديداً واجعل  
روحاً جديدة في داخلكم وأعطيكم قلب لحم . وأجعلكم  
تسلكون في فرائضي وتحفظون احكامي وتعملون بها " .  
( خر ٣٦ : ٢٥ - ٢٧ ) .

(٦) التوبة هي التحرر من عبودية الخطية والشيطان...  
" فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون احراراً " ( يو ٨ : ٣٦ )

(٧) التوبة إذن هي ترك للخطية ولكن من أجل محبة الله . ومن أجل محبة البر .

والتوبة الحقيقية ، فهي ترك الخطية عملاً وفكراً وقلباً ، حباً فى الله ، ووصاياہ . وملكوته ، وحرصاً من التائب على أبديته ...

(٨) التوبة الحقيقية هي ترك الخطية ، بلا رجعة هكذا تروى قصص القديسين الذين تابوا ، مثل أغسطس - موسى الأسود - مريم المصرية - بيلاجية - تاييس - سارة . كانت حياة هؤلاء وغيرهم ، هي نقطة تحول نحو الله ، استمرت مدى الحياة بلا رجعة إلى الخطية .

(٩) التوبة هي صرخة من الضمير ، وثورة على الماضى اشمئزاز من الخطية ، وندم شديد ، رفض للحالة القديمة مع خجل وخزى منها لذلك قيل عن التوبة إنها " قاضى لا يستحقى " .

## (١٠) تغيير شامل لحياة الإنسان .

تغيرت أفكاره ، مبادئه وقيمه ونظرته إلى الحياة ، طابع حياته ، وأسلوبه في الحديث ، معاملاته للناس ، علاقته بالله نفسه من الداخل . قلبه رافض للخطايا السابقة التي كان يحبها . ودخلت محبة الله إلى قلبه . وصار له منهج روحي ، يشعر فيه بلذة روحية .

## (١١) التوبة هي استبدال شهوة بشهوة .

هي رغبة للحياة مع الله ، بدلا من شهوة الخطية والجسد ولا تقتصر على الناحية السلبية أى ترك الخطية ومحبتها إنما تدخل من الناحية الإيجابية فى محبة الله وملكوته وطرقه ... انها حرارة تسرى فى الانسان ، وتشعله بالرغبة فى حياة طاهرة .

## (١٢) التوبة تجديد للذهن .

" ولا تشاكلوا هذا الدهر . بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة . " ( روم ١٢ : ٢ ) .

(١٣) التوبة هي المفاح الذهبى ، الذى يفتح باب الملكوت .

التوبة هي الباب الموصل إلى الملكوت . هي زيت في مصابيح العذارى يجعلهن أهلاً للدخول الى العرس السماى .

(١٤) التوبة هي القناة التى توصل استحاقات الدم من الصليب .

معمودية ثانية ، جدد للشيطان مرة أخرى ، فض للشركة التى بين الخاطى والشيطان ليدخل فى شركة مع الروح القدس .

(١٥) التوبة جمرة نار يلتقطها أحد السارافيم من فوق المذبح .

يمس بها فم الخاطى قائلاً له : إن هذه مست شفيتك فانتزع إثمك وكفر عن خطيتك " {أش ٦ : ٧} .

من أهمية التوبة فى نوال المغفرة قول الرب :

" إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون . " {لوقا ١٣ : ٣}

(١٦) التوبة هي طريق الهروب من الغضب الآتى .

توبة أهل نينوى استطاعت أن توقف حكم الله عليهم بالهلاك . " فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله عن الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه " {يون ٣ : ١٠} .

إن الله سوف لا يسألك : لماذا أخطأت إنما سيسألك لماذا لم تتب ؟! .

(١٧) التوبة هي إبقاء الله عليك وعدم أخذك فى خطيئتك .

فالتوبة هي منحة إلهية وهبها الله للخطاة ، لكي تطهرهم ، وتريح ضمائرهم المثقلة بخطاياهم . وتعيد إليهم السلام الداخلي ، وتردهم إلى رتبتهم الأولى التي كانت لهم قبل الخطية .

(١٨) إنها يد الله الممدودة ، يطلب أن يصلحك . [santamariaegypt.org](http://santamariaegypt.org)

إنها فرصة لصفحة جديدة ، يفتحها الله فى علاقته معك ،  
يغفر لك الماضى كله ويغسلك فتبيض أكثر من الثلج .  
قيل عن التوبة : [أ] باب الرحمة . [ب] باب الغفران  
[جـ] باب الحياة [د] جسر يوصل بين الأرض والسماء

(١٩) التوبة هى استجابة من الانسان لدعوة الله إليه .

{أ} استجابة من الضمير لصوت الله فيه .

{ب} استجابة من الارادة لعمل النعمة معها .

{جـ} عدم مقاومة للروح الذى يعمل فىنا لخلصنا وعدم

إحزان للروح وعدم إطفاء للروح .

## أقوال الآباء عن التوبة

### [١] هي قلب منسحق :

إنها النفس المنسحقة الراجعة إلى الله .

إنها الركب الجاثية ، والعيون الدامعة والقلوب المنكسرة .  
إنها أم الدموع والانسحاق والاتضاع ، لأن التوبة تلد كل  
هؤلاء ...

تحطم كبرياء الخاطئ ، وتفتت قلبه الصخرى وتدخله إلى  
حياة الاتضاع .

ماراسحق السريانى

### [٢] التوبة هي عذاب عظيم للشيطان مضادها :

لأنها تخلص وتعتق المسيبين الذين سباهم بشره . وتعبه  
الذى تعبته فى سنين كثيرة . تضيعة التوبة فى ساعة  
واحدة .

انها تجعل الزناة بتولين - هي أم الغفران .

إن الأب المملوء رحمة ، لا يغضبك إذا طلبت إليه لأنه  
وهبك أن تكونى شفيعة للخطاة وسلم لك مفاتيح الملكوت .  
ماريوحنا سابا {الشيخ الروحانى }

إن أردت أن تفرح السماء تب ... فرح للتائب وللراعي  
وللكنيسة كلها.

التوبة فرح لأنها دعوة للمأسورين بالاطلاق (اش ٦١ : ١).  
فرح بالتحرر من عبودية الشيطان والخطية ، وفرح بلذة  
الحياة الجديدة النقية ، وفرح بالمغفرة .

فرح لأن التوبة هي حياة النصر أو أنشودة الغالبين :  
ينشد التائب مع داود قائلاً: "مبارك الرب الذى لم يسلمنا  
فريسة لأسنانهم .انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ  
الصيادين الفخ انكسر ونحن انفلتنا . " (مز ١٢٤ : ٦ ، ٧ )

\* التوبة هي بداية رحلة طويلة الى حياة النقاوة .  
التوبة هي بداية العلاقة مع الله . هي بداية طريق  
طويل غايته القداسة والكمال .  
فالذى لم يبدأ التوبة حتى الآن ، أى لم يبدأ أول  
الطريق ، كيف تراه سيصل إذن الى نهايته .

التوبة كأى فضيلة ، ينمو فيها الإنسان ويتدرج ويظل ينمو حتى يصل إلى كمالها .

- ما هى نقطة البداية فى التوبة ؟! .
- هل هى ترك الخطية من أجل مخافة الله ؟! .
- هناك نقطة قبل ترك الخطية .

#### • الرغبة فى التوبة :

الرغبة فى التوبة نقطة حسنة . أتريد أن تبرا ؟  
تكون أول خطوة بعد ذلك ترك الخطية بالفعل .  
لكن أهم من ترك الخطية بالفعل ، تركها بالقلب والفكر .  
هناك من يترك الخطية بالعمل ، ولكن محبتها تزال فى قلبه . يحن إليها ويندم على فرص معينة كان يمكنه أن يخطئ ولم يفعل ! .  
ربما ترك الخطية من أجل وصية الله وليس لأنه يكرهها .

كمال التوبة هى كراهية الخطية

يكره الخطية من كل قلبه ويشمئز منها ولا يحتاج إلى بذل  
أى جهد فى مقاومتها ، لأنها لم تعد تتفق وطبيعته .  
ترك الخطايا التى تتكشف له بالنمو الروحى .  
الله من حنوه علينا ، لا يكشف لنا كل خطايانا وضعفاتها  
دفعه واحده حتى لا تقع فى صغر النفس .  
الكتاب المقدس - العظات - الكتب الروحية تكشف لنا  
ضعفاتنا فى أنفسنا وتقصيرات تحتاج إلى علاج وإلى  
جهاد وإلى توبة . ندخل فى عملية تطهير وتنقية قد تستمر  
مدى الحياة . لأن الشيطان قد يترك ميداناً ، ويحارب فى  
ميدان آخر نكون مستعدين له فى كل الميادين .

### • هناك توبة عن النقائص الخاصة بالنمو الروحى

المفروض أن التوبة حياة فاعلة تجعل التائب يصنع  
ثمارا تليق بالتوبة . كما يقول انجيل متى : " فاصنعوا  
أثمارا تليق بالتوبة " {مت ٣ : ٨} .

فإن كان لا يأتى بثمر ، فهو محتاج إلى توبة .  
" فمن يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له "  
{ يع ٤ : ١٧ } .

\* التوبة إذا ليست مرحلة وتنتهى إنما تستمر دائما :  
ليس أحدا بلا خطية ولو كانت حياته يوما واحدا على  
الأرض .

\* التوبة عملا يوميا :

" إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق  
فيها . " { ١ يوا : ٨ } .

• الفرق بين توبة الخطاة وتوبة القديسين :

الخطاة يتوبون عن خطايا هي كسر صريح للوصايا  
وتدل على عدم محبة الله أما القديسون فيتوبون عن  
تقصيرات طفيفة سببها الضعف البشرى ويتوبون عن  
نقائص يشعرون بها لرغبتهم فى حياة الكمال . التى يرون  
طريقها طويلا أمامهم ، كل ذلك مع حفظ قلبهم فى محبة  
الله .

وضعت لنا الكنيسة صلوات يومية نطلب فيها التوبة .

[١] الاعتراف بالخطية واستحقاق العقوبة . قطع الغروب

[٢] طلب المغفرة . تحليل الساعة السادسة .

[٣] طلب إنقاذ الرب للمصلى من الخطية ذاتها . تحليل

الساعة الثالثة .

[٤] طلب إرشادات لمعرفة الطريق كما فى مزمور ١١٩

وتفضل يارب أن تحفظنا فى هذه الليلة ...

[٥] لوم النفس وتبكيبتها على سقوطها .. قطع النوم .

[٦] إيقاظ النفس للتوبة وتذكيرها بالموت والدينونة ومجيئ

السيد المسيح الثانى . كما فى قطع النوم ونصف الليل .

**هذا يدل على أننا نطلب التوبة كل يوم وكل ساعة .**

كما فى صلوات قطع النوم والغروب والسادسة . والثالثة :

طهرنا من دنس الجسد والروح .

**\*الذى يظن أنه اجتاز مرحلة التوبة لم يفحص ذاته جيداً**

من منا وصل إلى محبة الأعداء .. من منا وصل إلى

أن يلهج فى ناموس الله ليلاً ونهاراً .

الفصل الثاني :

## دعوة إلى التوبة

دعوة إلى التوبة

[١] إن الله المحب للبشر ، بدافع محبته لأولاده يدعوهم للتوبة .

" الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون . " {١تى ٢ : ٤} .

" وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة . " {٢بط ٣ : ٩} .

" هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب . ألا يرجوعه عن طريقه فيحيا . " {خر ١٨ : ٢٣} .  
هو يحبنا ويريدنا بالتوبة أن نتمتع بمحبته .

[٢] يريد بالتوبة أن يشركنا في ملكوته ويمتعنا بمحبته .  
دعوة حب للخلاص . " فتوبوا وارجعوا لتمحي خطاياكم لكي تأتى أوقات الفرج من وجه الرب . " {أع ٣ : ١٩} .

[٣] في دعوته لنا للتوبة مشاعر الحب ..  
" ارجعوا إلى أرجع إليكم قال رب الجنود . " {ملا ٣ : ٧} .

" اجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا .. لأنني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيئتهم بعد " {أر ٣١ : ٣٣ ، ٣٤} .

#### [٤] في دعوته لنا بالتوبة وعد بتطهيرنا وغسلنا :

أنه يقول على فم حزقيال النبي : " وارش عليكم ماء طاهرا فتطهرون . من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم . وأعطيكم قلوبا جديدةا وأجعل روحا جديدة في داخلكم وانزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم " {حز ٣٦ : ٢٥ ، ٢٦} .

#### [٥] دعوة الله للتوبة لأننا نحن نحتاج إليها :

"لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم." {يو ١٢ : ٤٧} " فلما سمع يسوع قال لهم . لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى . لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة " . {مر ٢ : ١٧}

" لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك . " {مت ١٨ : ١١} .

[٦] هذه التوبة إذا من صالحنا . وليس أمرا مفروضا علينا

"إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض . وإن أبيتم وتمردتم  
تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم " {اش ١ : ١٩ ، ٢٠} .  
والصالح لنا أن نسمع ونطيع ، من أجل نقاوتنا ومن أجل  
أبديتنا ومن أجل أن نتمتع بالله .

[٧] التوبة نافعة . مهما كان اسلوبها باللين أو بالشدّة .

" ارحموا البعض مميزين . وخلصوا البعض بالخوف  
مختطفين من النار مبغضين حتى الثوب المدنس من  
الجسد " . {يه ٢٢ ، ٢٣} .

" الآن أفرح لا لأنكم حزنتم بل لأن حزنكم للتوبة . لأنكم  
حزنتم بحسب مشيئة الله " {٢كو ٧ : ٩} .

[٨] كانت الدعوة للتوبة أهم موضوعات الإنجيل .

لكي يتنقى الناس ويخلصوا . أرسل السيد المسيح له  
المجد قدامه يوحنا المعمدان ، يهيئ الطريق أمامه بالتوبة  
" توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات " {مت ٣ : ٢} .

[٩] عمل التوبة سبق عمل الفداء . والمعمدان سبق

المسيح . رب المجد يسوع نادى للناس بالتوبة :

" من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات " [مت ٤ : ١٧] .

" ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وأمنوا بالانجيل " [مر ١ : ١٥] .

" يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتداء من أورشليم . " [لو ٢٤ : ٤٧] .

[١٠] كان أول كارز هو نوح وتبعه أنبياء كثيرون :

[ش ١] - [حز ١٨] - [يون ٣] - يوثيل - [ار ٣١] .

[١١] لقد اهتم الآباء بالدعوة إلى التوبة :

[أ] القديس أنطونيوس : اطلب التوبة في كل لحظة .

[ب] القديس باسيليوس : جيد ألا تخطئ وإن أخطأت

فجيد أن لا تؤخر التوبة . وإن تبت ، فـجيد أن لا تعود

إلى الخطية وإن لم تعد ، فجيد أن تعرف أن هذا بمعونة الله وإن عرفت فجيد أن تشكره على ما أنت فيه .

[١٢] الدعوة إلى التوبة وجهت إلى ملائكة الكنائس السبع: فالرب يقول إلى ملاك كنيسة أفسس : " فأذكر من أين سقطت وتب وأعمل الأعمال الأولى وإلا فإنى أتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب . " [رؤ ٢: ٥] وملاك كنيسة برغامس وملاك كنيسة ساردس وملاك كنيسة لاودكية . وقد ارسل الله ناثان النبي لينادى بالتوبة إلى داود النبي مسيح الرب .

[١٣] إن دعوة الله بالتوبة تحمل شعور الإشفاق على أولاده .

فهو يريد الذين ضلوا أن يرجعوا إليه ليكون لهم نصيب فى الملكوت وميراث القديسين وفى شركة الكنيسة لأن السلوك الخاطئ يمنع شركتنا بالله ويمنع شركتنا بعضنا البعض .

" ولكن إن سلكننا فى النور كما هو فى النور فلنا شركة  
بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل  
خطية " [١ يوا : ٧] .

[١٤] الله يقبل التائبين . وأمثلة كثيرة فى الكتاب :

(أ) الابن الضال فى سوء حالته [لو ١٥] .

(ب) السامرية التى كان لها أكثر من خمسة أزواج [يو ٤]

(جـ) اللص اليمين على الصليب [لو ٢٣] .

(د) صلى من أجل صالبيه [لو ٢٣ : ٣٤] .

(هـ) زكا { لو ١٩ } .

(و) متى العشار جعله رسولا {مت ١٠ : ٣} .

إن مراحم الرب أقوى من كل دنس الخطيئة . وقبوله  
للخطاة التائبين الذين قبلوا التوبة بارادة قوية وقلوب نقية  
إنما يكشف عن أعماق محبته الإلهية لذلك لا نستكثر  
خطيئتنا على فاعلية دمه ... ولا نستكثرها على عظم  
محبته وعظم رحمته .

وقد قال أحد الشيوخ القديسين ، لا توجد خطية تغلب  
محبة الله للبشر " إذ هو الذى يبرر الفاجر " [رو ٤ : ٥] .

## التوبة بين الجهاد والنعمة

" لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية " {عب ١٢ : ٤} .

إذا من المفروض أن يقاوم الإنسان حتى الدم كل أفكار الخطية وكل شهواتها ، وكل طرقها . ويبعد عن العثرات ويستخدم كل الوسائط الروحية التي تثبت محبة الله في قلبه .

### يدخل في حرب روحية ضد أجناد الشر :

[١] يقاتل ويصمد ، ولا يستسلم للعدو ، ويلبس سلاح الله الكامل لكي يقدر أن يثبت ضد مكائد ابليس .

[٢] ساهرا على خلاص نفسه . اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر .

[٣] قاوموه راسخين في الايمان . فى مقاومتك تسندك النعمة بكل قوة . صلى ليعطيك الرب قوة على مقاومتها .

[٤] هكذا تشترك مع الله فى العمل .

(أ) الابن الضال لم ينتظر حتى يأتيه الأب .

رجع إلى نفسه ، نفذ . رجع إلى الأب فقبله .  
(ب) أهل نينوى صاموا ، تذلوا . جلسوا على الرماد وصرخوا  
إلى الله بشدة ورجعوا عن أفعالهم ، فقبلهم الله إليه .  
" ارجعوا إلى أرفع إليكم قال رب الجنود " [ملا ٣ : ٧]  
إذا هناك واجب على الإنسان يقوم به فى عمل التوبة .

### أهمية التوبة

[١] بدونها لا يتم الخلاص :

" إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون ... " [لو ١٣ : ٣]  
قد يقول البعض إن السيد المسيح قدم لنا دمه للخلاص  
والمغفرة فما لزوم التوبة إذن ؟ ألا يكفى دم المسيح ؟  
نجيبه قائلين : " إن التوبة هى التى تنقل استحقاقات دم  
المسيح فى المغفرة . "

الخلاص يقدم لكل ودم المسيح كاف لكل ولكن لا ينال  
منه إلا التائبون .

اشترط الرسول يوحنا أمرين للتطهير :

(١) إن سلطنا فى النور . (٢) إن اعترفنا بخطايانا

## [٢] التوبة تسبق المعمودية :

" توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس . " [٢٤١ : ٣٨]  
الكنيسة في المعمودية الكبار تشترط الإيمان والتوبة والاعتراف وبالنسبة للصغار يكفي بطقس جدد الشيطان لينوب عن التوبة .

## [٣] انها تلازم الايمان أو تسبقه :

" توبوا وآمنوا بالانجيل " . الايمان بدون توبة لا يخلص أحدا لأن عدم التوبة يهلك الانسان .

## [٤] التوبة تسبق تناول من الأسرار المقدسة .

" ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب... لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا . " [١١١ : ٢٨ - ٣١] .

[٥] التوبة تسبق جميع أسرار الكنيسة المقدسة :

وذلك لكي يستحق الإنسان فاعلية الروح القدس فيه .  
ولكي ينال مغفرة بالتوبة ، تؤهله لنعمة الروح القدس  
العاملة فى الأسرار .

[٦] التوبة شرط لازم لمغفرة الخطايا :

" فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لى تاتى أوقات الفرج  
من وجه الرب . " [أع٣ : ١٩] .

### عوائق التوبة

(١) العثرات : اغراءات ، فرصا لرغبات لم تكن متاحة  
من قبل - البيئة التى تعطل التوبة .

(٢) مقارنة الخاطئ نفسه بمستويات ضعيفة :

يقول : الكل ، الناس هكذا . فهل أشد أنا عن الكل !؟ .

(٣) ضعف الشخصية : مثال السمكة الحية التى تقاوم  
التيار وتسير عكسه .

٤) التآجيل : يؤجل التوبة باعداد واهية ويقول : حين تتاح لى فرصة مناسبة سوف أتوب .

٥) اليأس : الشعور بأن التوبة صعبة وغير ممكنة . إن الشياطين قبل السقوط يقولون لك إن الله رؤوف رحيم . وبعد السقوط يقولون إنه ديان وعادل ويخيفونك لتيأس من مغفرة الله فلا تتوب .

٦) البر الذاتى : الذى فيه لا يشعر الانسان إنه مخطئ . كذلك لا يتوب من لا يبكت نفسه ومن يرفض تبكيت الآخرين . التوبة سهلة للمتواضعين . وصعبة على الأبرار فى أعين أنفسهم .

٧) عدم وجود مخافة الله فى القلب . قال ماراسحق : حيث لا توجد مخافة الله لا توجد التوبة أيضاً

١) الكنيسة هي التي تدعو الخطاة إلى التوبة عن طريق الوعظ والتعليم . وتقدم كلمة الله للناس . وزيارة الناس وحل مشاكلهم بكل أنواعها الروحية والاجتماعية .  
٢) الكنيسة هي الوسط الروحي الذي يساعد على حياة التوبة .

٣) الكنيسة تقدم للتائب سر الاعتراف وتمنحه الحل والمغفرة " من غفرتم خطاياهم تغفر له . ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت . " [يو ٢٠: ٢٣] . هكذا يخرج التائب من الاعتراف وقد استراح ضميره . وهكذا يملك السلام على قلبه ويبدأ بدءا حسنا روحيا .

والكنيسة في سر الاعتراف تعطي الإرشاد الروحي .

٤) في الكنيسة يجد التائب القلب الذي يأتئمه على أسرارها

٥) الكنيسة تقدم للتائب كل بركات سر الافخارستيا .

بالتوبة تستحق المغفرة وبالاعتراف والتناول تتألمها .

الفصل الثالث :

**التوبة فى الكنيسة الأولى**

**وكيف تتوب؟!**

\* سؤال جماعى نطقت به القلوب التى نخسها روح الله ..

ماذا نصنع ايها الرجال الاخوة ؟! ..

كان جواب الرسل على هذا السؤال : " توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس " ( اع ٢: ٣٨ ) .

كان هذا الكلام موجهاً الى كل واحد.. كل واحد محتاج الى التوبة..جميع البشر محتاجين إلى التوبة .. والتوبة هى رسالة المسيحيه الأولى .

هكذا كرز يوحنا المعمدان والسيد المسيح وتلاميذه فى ارسالياتهم التدريبيه.. وعدم التوبة يعنى الهلاك والموت .

" ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون " ( لو ١٣: ٣ )

" توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس " ... كانوا فى حاجة إلى التوبة ، اى إلى تغيير الفكر والطريق ليستأنهلوا المعمودية... أما عطية الروح القدس فهي لا ينالها إلا من

اعتمد على اسم يسوع المسيح... فالمعمودية هي باب المسيحية ، ومن لا يعتمد لا يتمتع ببركات الله التي يفيضها علينا من قبل اسرار الكنيسة المقدسة ، والتي ينقلها الينا الروح القدس.

\* لنلاحظ هذا الترتيب فى كلام بطرس الرسول :  
" توبوا... اعتمدوا... فقبلوا عطية الروح القدس " . لانه لايمكن ان نتمتع بعطايا الروح القدس الا بالمعمودية القانونية من الكنيسة، ولا تعطى لنا المعمودية الا اذا تبنأ وآمنا معترفين بالمسيح رباً ومخلصاً ...

**كيف تتوب؟! .**

**(١) حاسب نفسك :**

الخطوة الاولى فى طريق التوبة هي محاسبة النفس. مثال الابن الضال .استعرض حالات شقائك وتعبك وقلقك وفقدان سلامك ..ما الذى سلبنى سعادتى وراحتى وفرحى وسلامى؟. وقفه خاشعة امام الله وصلاة خارجة من القلب ملؤه الخجل ووجهاً منكساً الى اسفل وعينين دامعتين ويداً

تقرع على الصدر فى ندم وشفنتين ترددان نفس كلمات  
" ذلك الابن الضال " يا أبى اخطأت إلى السماء وقدامك .."  
(لوقا : ١٥ : ١٨) .

حاسب النفس يعتبر من المقومات الأساسية للحياة الروحية  
ولا تقتصر منافع حساب النفس على الناحية السلبية أي  
نواحي مراجعة الأخطاء ، بل تمتد إلى النواحي الايجابية  
ونعنى بها الفضائل .

حاسب نفسك اذا لتعرف اخطاءها وعيوبها ونقائضها،  
ومتى عرفتها ووقفت عليها . لوم نفسك وانبها بقوة .

**متى تكون محاسبة النفس؟ ! :**

- (١) عقب الخطية مباشرة
- (٢) كل يوم حتى نصف الحساب اليومي .
- (٣) قبيل التوجه للأب الكاهن للاعتراف

(٤) في نهاية كل أسبوع باعتباره وحدة زمنية. نأخذ عقبة يوم راحة للجسد. وحبذا أن تقترن راحة الجسد براحة الروح .

(٥) في نهاية كل عام " كللت السنة بجودك وأثارك تقطر دسماً "، "الآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة..."  
( مت ٣ : ١٠ ) .

نتضرع إلى الرب في تذلل وانكسار " يا سيد أتركها هذه السنة أيضاً " ( لو ١٣ : ٨ ) .

**تنتهى بصلاة :** يجب ان نرفع صلاة الى الله معترفين بذنوبنا وضعفائنا طالبيين الغفران والعون واما شاكرين معونته ونعمته طالبيين ان يسندنا إلى النهايه لكي نخلص .

## (٢) فكر فى عواقب الخطية

فكر فى عواقب الخطية... وأعلم أنها تهين الله جداً . وتهيج غضبه عليك وتفصلك عن إلهك وتحرمك سلامك ، وتورثك القلق. ما الذي أبكى القديسين على خطاياهم السالفة

مثال داود . " تعبت فى تنهدى . اعوم فى كل ليلة سريري  
وبدموع أذوب فراشي " (مز ٦ : ٦ ) . لأنى عارف  
بمعاصىّ وخطيتى أمامى دائماً " . (مز ٥١ : ٣) .

تذكر خطاياك وجهالات صباك وابكي عليها ان أمكنك  
ذلك في مخدعك فدموعك تغسل ذنوبك .

يقول القديس يوحنا ذهبى الفم : انظر ذاتك أيضاً فانك  
متى تذكرت خطيتك الله لا يذكرها، وان نسيتها فالله  
لا ينساها .

### (٣) الراحة والخلص هما فى المسيح وحده

كن على يقين أن الراحة الحقيقية والفرح الكامل، والسلام  
الذى يفوق كل عقل، لا ولن يحصل عليه انسان الا  
بالمسيح وفى المسيح الذى قال " تعالوا الىّ يا جميع  
المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم " (مت ١١ : ٢٨)  
وهو الذى اعطى تلاميذه سلامه الكامل ...

ضع فى قلبك ان الخلاص من الخطية ومن سلطانها انما هو بالمسيح وحده، بالايمان باسمه والايقان بقوته ومعونته والرجاء فى رحمته ، واستخدام وسائل الخلاص التى رسمها لنا فى كنيسته .

" وليس بأحده غيره الخلاص . لانه ليس اسم اخر تحت السماء قد اعطى بين الناس به ينبغى ان نخلص (اع ٤:١٢).  
" لأنكم بدونى لا تقدرون ان تفعلوا شيئاً " ( يو ١٥:٥).

اياك ان تعتمد على ارادتك أو حكمتك أو معرفتك الروحية  
أجعل الله كل شيء فى حياتك.

#### (٤) تأمل فى تفاهة العالم وبطلانه

أنظر إلى العالم فى تفاهته لا فى غروره. وأعلم انه باطل  
الأباطيل الكل باطل. أحياء فى العالم ولا تدعه يحيا فيك.  
أين الملوك أين العظماء ؟ اذهب إلى القبور وتعلم هل  
تستطيع ان تميز عظام أحد الملوك من عظام رعيته  
وعظام السادة من عظام العبيد .

ان أمجاد العالم الزائلة هي الفخ الذى ينصبه لك عدو الخير . ان غرور العالم يشبه المصباح الذى يجذب اليه الفراش الجميل ، فيحوم حوله وهو يرقص طرباً ، ثم ما يلبث أن يسقط فى داخله فيحترق لوقته...

### (٥) أعرف قيمة نفسك

لو عرفت قيمة نفسك لما اهملت أمر خلاصها ولما توانيت عن توبتها . ان نفسك لهى أسمى واثمن من العالم وما فيه . " لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه".  
(مت ١٦ : ٢٦) .

ان نفسك ثمنها دم المسيح الذى سفك على الصليب لاجل خلاصك .اننا الان فى زمن الرحمة ، وغداً فى السماء سنصبح فى زمن العدل.... ان أهنت العدل ههنا يمكنك الالتجاء الى الرحمة لكن ان انت أهنت الرحمة فإلى من تلجىء حينئذ !؟.

## (٦) لا تؤجل التوبة

لا تؤخر التوبة أو تؤجلها ، فكثيرون منهم فى الجحيم الآن . انتقلوا من هذا العالم على أمل التوبة فى مستقبل حياتهم ، ولكن الموت عاجلهم وباغتهم ولم يمهلهم .

مثال العذارى الجاهلات ، الغنى الغبى ... " يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التى أعددتها لمن تكون " (لو ١٢ : ٢٠) .

يقول سليمان الحكيم فى سفر الجامعة : " لكل شىء زمان ولكل أمر تحت السماء وقت " . ( جا ٣ : ١ ) . فما هو وقت التوبة ياترى ؟ ليس هو زمن الشيخوخة .

ربما لا يجدى تأجيل التوبة الى زمن الشيخوخة بعد أن تكون قد فاحت من الانسان رائحة الخطية .. ورب قائل يقول ولماذا لا أؤجل التوبة؟! . وما هى الاضرار التى قد تحدث نتيجة لذلك ؟ قد تحدث انحرافات فى الطريق . ضعف الارادة والنية للتوبة والحياة المستقيمة . قد تنتهى حياة الانسان قبل أن يتوب .

## (٧) احذر من اليأس

" توبنى فأتوب لأنك أنت الرب الهى " (ار ٣١:١٨).  
ليست طلبه مقبولة لدى الله مثل الطلبة التى لأجل خلاص  
النفس. الطلبة التى من أجل خلاص النفس لا يرفضها الله  
أبدأ إذ هى ارادته . " ليس شيئاً محبوباً لدى الله، وسريعاً  
فى أستجابته مثل أنسان يطلب من أجل ذلته وغفرانها "  
ماراسحق السريانى

قد يأتى اليأس من تذكر خطايانا وبشاعتها. ونوع آخر من  
اليأس قد يأتى به الشيطان علينا فى بدء طريق التوبة  
والجهاد . وهو أن يصعب لنا الطريق ويضع امامنا  
العراقيل ويحاربنا بالملل والضجر كل ذلك حتى نياس من  
أول الطريق .

- لكن لنعلم جيداً ان طريق الملكوت ليس مفروشاً  
بالورود والرياحين... يكفى وصف المسيح له، ان بابيه  
ضيق ومسلكه شاق وكرب .

هناك فى بداية الطريق والحياة مع الله يرجع كثيرون الى  
الوراء . مثال بنى اسرائيل فى حنينهم الى مصر .  
هناك مبدأ هام فى الحياة الروحية هو مبدأ التغصب.

" ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السموات  
يغصب والغاصبون يختطفونه" ( لو ١١: ١٢ ) .

" لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية "  
( عب ١٢: ٤ ) .

وبقدرما نغصب انفسنا لحياة التوبة والصلاح والجهاد  
بقدرما تأتينا معونة الله

" بقدر ما يشقى الانسان ويجاهد ويغصب نفسه من أجل  
الله ، هكذا معونه الهيه ترسل اليه وتحيط به ، وتسهل  
عليه جهاده وتصلح الطريق امامه .

لكن لا يستمر الامر هكذا شاقاً فى كل طريق الملكوت،  
بل أن موعيد الله تشجعنا، وتعزياته الخفية، وصوته  
الصادر من داخلنا يؤازرنا ويقوينا بل يأتى الوقت حينما  
يرى الرب تمسكنا به وقهر ميولنا من أجل حبه ويرفع  
عنا الحروب والقتالات .

ماراسق السريانى

ما أروع التشبيه الذى أوردته القديسة سفرنيكى .  
" جهاد عظيم وتعب يلقى المتقدمين الى الله فى البداية  
وبعد ذلك فرح لا ينطق به ، كمثل الذين يلتمسون أن

يوقدوا ناراً ففي أولها تدخن وتدمع عيونهم وفيما بعد ينالون المطلوب .

ولأنه قد قيل ان إلهنا ناراً آكله ، فلنسكب دهن العبرات لتشتعل النار الإلهية داخلنا .

### (٨) كل الخطايا قابله للغفران

قال رب المجد يسوع المسيح : " الحق اقول لكم أن جميع الخطايا تغفر لبني البشر والتجديف التي يجدفونها . ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية. لأنهم قالوا أن معه روحاً نجساً " (مر٣ : ٢٨-٣٠) .

والتجديف على الروح القدس ، الذى لا يغفر ، والذى ورد ذكره فى هذه الآية ليس هو خطية مجردة ، بقدر ما هو حالة روحية معينة يصل فيها الإنسان الى الفساد الطوعي والعناد والمقاومة المقصودة للمعرفة الصريحة وتأنيبات الضمير الشاهد بتأثير الروح القدس فى القلب .

الذى يعتاد رفض الروح القدس وتأثيره ويتعمد اخماد صوت ضميره الذى يؤنبه فهو يحرم من الغفران حرماناً

أبدياً. اذ يفقد كل وسيلة لأرشاده وتأنيبه لأن مهمة الروح القدس إثارة القلوب وأرشادها ثم أقناعها بالحق ...  
"ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة." (يو ١٦: ٨).

### (٩) احذر التهاون وتذكر الدينونة

اياك ان تفهم خطأ مراحم الله الواسعة ..فكما أن الله رحوم فهو عادل أيضاً .

من الذى أتى بالطوفان على العالم - حرق سدوم وعمورة - غرق فرعون وجنوده..... إبادة ٦٠٠ الف فى البرية - احراق محلة أبيرام .

" ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون." (لو ١٣: ٣) .

الفصل الرابع :

**كيف تعترف اعترافاً صادقاً؟!**

كيف تعترف اعترافاً صادقاً ؟ ! .

" إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم . " ( ايو ١ : ٩ ) .

الاعتراف هو الإقرار بالخطايا والذنوب التي اقترفها الإنسان بعد توبة صادقة مصحوبة بندم على حياة الماضي وتغيير جوهرى في حياة الإنسان للاتجاه نحو حياة البر والقداسة والنمو في الفضائل لتمجيد اسم الله القدوس .

**للاعتراف عناصر ثلاثة هي :**

**أولاً : بينى وبين نفسي :**

ليس الاعتراف مجرد عبارات يتلوها المعترف على مسمع الأب الكاهن حتى لو كانت هذه العبارات تعبر عن الحقيقة وإنما هو توبة صادقة.

قال القديس كبريانوس من آباء القرن الثالث . يؤنب الذين يتقربون للتناول دون توبة صادقة : " كيف تعطى لهم الافخارستيا وهم لم يصنعوا توبة . ولم يقدموا بعد اعترافاً ، ويد الأسقف أو الكاهن لم توضع بعد عليهم " رسالة ٩ عدد ٢ . إن أولئك الذين يقولون " الحمد لله لا

يوجد شئ ". انما يضلون انفسهم . هؤلاء إنما يخفون خطاياهم ويكذبون على الحق، وإنما لا يعرفون انفسهم مع الأسف ويكذبون على الله .

قال معلمنا يوحنا الرسول : " إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا ... إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا " ( ١يو ١ : ٨ ، ١٠ )  
لنتأكد جميعاً أن صلاة التحليل دون اعتراف ودون توبة صادقة لا ولن تهبنا غفراناً لخطايانا .

قال سليمان الحكيم في سفر أخبار الأيام الثاني :

" فاسمع أنت من السماء مكان سكنك واغفر وأعط كل إنسان حسب كل طريقه كما تعرف قلبه لأنك أنت وحدك تعرف قلوب بني البشر " ( ٢أى ٦ : ٣٠ ) .

**\* جلسة مع نفسك :**

إذا أنت أدنت إنسانا ما ، فقل لنفسك لماذا أنا أدنت فلان . هل أنا أفضل منه ؟! . وإذا أنا أدنته على هذا الخطأ فأنا لي أخطاء أيضاً ، وهل أنا كامل بلا خطية ! .

" ليس أحداً طاهراً من دنس ولو كانت حياته يوماً واحداً  
على الأرض " .

ولماذا انا أدين ، أنا لست صاحب دينونة . الله هو الذى  
يدين . والسيد المسيح له المجد قال : " لا تدينوا لكى لا  
تدانوا . " ( مت ٧ : ١ )

اطلب من الرب أن يبعد عنك روح الإدانة وأن يعطيك  
الاتضاع وأن يسندك بنعمته حتى لا تسقط .

- متى تكون المحاسبة ؟ ! .

(١) عقب الخطية مباشرة . (٢) فى نهاية اليوم .

(٣) قبل التوجه إلى أب الاعتراف .

(٤) فى نهاية الأسبوع .

(٥) فى نهاية الشهر . (٦) فى نهاية كل عام .

قارن بين معاملة الله النبيلة لك واحساناته إليك وبين  
جودك ونكرانك . قارن بين حياتك وحياة الآباء القديسين  
قل مثل داود النبى : " لأنى عارف بمعاصى وخطيتى

أمامي دائماً .. " {مز ٥١ : ٣} . بروح انسحاق . فتصغر نفسك ، وسيتجدد فيك الشعور بالحاجة إلى نعمة الله .  
قل هذا الدعاء : " إلهي امحنني أن اعرف من أنت ومن أنا ؟ . أنت الإله القدوس المحب المجد الساكن في الاعالى والناظر إلى المتواضعات .

أنا الإنسان الترابي ... الذي يخطئ كل يوم ، وأنت تنتظر إلى في حب وحنان وتصبر علىّ لكي أرجع وأتوب .  
ثانياً : جلسة مع الله :

يقول داود في المزمور : " لما سَكَتُ بليت عظامي من زفيرى اليوم كله . لأن يدك ثقلت علىّ نهاراً وليلاً . تحولت رطوبتي الى يبوسة القيظ . اعترف لك بخطيتي ولا أكتم اثمى . قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي " . (مز ٣٢ : ٣ - ٥ ) .

... سامحنى يا إلهي واغفر لى خطاياي . أنت تعرف يارب ضعفى وكثيراً ما أسقط . إن كنت للآثام راصداً يارب من يثبت لأن من عندك المغفرة . ليس عبد بلا خطية ولا سيد بلا غفران . " ارحمنى يارب لأنى ضعيف .

اشفنى يارب لأن عظامى قد رجفت . ونفسى قد ارتاعت  
جداً . وانت يارب فحتى متى! . عُدّ يارب . نج نفسى .  
خلصنى من أجل رحمتك " {مز ٦ : ٢-٤} .

يارب ارحمنى كعظيم رحمتك واقبل توبتى . هبنى نعمة  
من عندك وقوة لكى اكمل توبتى . واسلك حسب وصاياك

ثالثاً : أمام الأب الكاهن :

لا تخجل أن تقف لتعترف أمام الأب الكاهن بكل خطاياك  
وآثامك . فالخجل ولو أنه قاسى ومتعب إلا أنه مفيد لك  
يشعرك ببشاعة الخطية ومقدار حقارة الوقوع فيها  
ويشعرك أنها عار ونقص ...

ثم ممن تخجل ولماذا تخجل؟! .

قد يؤدى الخجل ببعض الأفراد إلى التساؤل عما إذا كان  
من المحتم على الإنسان أن يعترف على كاهن ولماذا لا  
يعترف إلى الله رأساً؟! .

وتتضم أيضاً الكبرياء إلى الخجل .. هذه خدعة من الشيطان يريد بها أن يمنع عنك بركات كثيرة تحصل عليها .

\* أنت تخجل من أن تعترف أمام الكاهن ، ولماذا لم تخجل عند ارتكابك الخطية أمام الله .

" اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا . طلبه البار تقتدر كثيراً في فعلها " (يع ٥ : ١٦) .

### كيف تعترف !؟

(١) حينما تجلس أمام أب الاعتراف احذر من أن تكون لك دالة عنده واذكر أنك مُقَدِّمٌ على سر رهيب يجدد حياتك ويحدث فيك تغييراً .. اذكر أنه نائب الله ووكيله الذي يحاسبك على خطاياك ، لا تذكر خطاياك كشخص يحكى قصة أو يروى خبراً إنما بآلم ورعدة.

(٢) اعترف بكل أنواع الخطايا : الفعل - القول - الفكر -  
الحس .. " اسكبي كمياه قلبك قبالة وجه السيد " .  
(مرا ٢ : ٩) .

أعلم أن كل خطية لا تعترف بها ستظل باقية مهما  
تحسنت حالتك فيما بعد ستظل تفتلك حتى لو صرت قديساً

(٣) اهتم بتفاصيل الخطية التي يظهر فيها لون من  
البشاعة حتى تظهر على حقيقتك .. مكان الخطية -  
زمانها - الشخص الذى أخطأت إليه . فالاعتراف العام لا  
يجديك كثيراً . يا أبى لم أصلى كما ينبغى ولم أحب  
الآخرين كما يريد الله ، ولم أتناول بالاحترام اللائق .  
فرق بأن تقول نظرت يا أبى نظرة شريرة وبين قولك  
وكانت هذه النظرة فى الكنيسة .

فرق أن تقول أفكارى تحاربنى من جهة فتاة وأشعر  
بالميل إليها .. وبين قولك هذه الفتاة فى منزل واحد وفى  
نفس السكن . فرق أن تقول : إنسان قال لى كلمة مزاح  
فأنا غضبت عليه لأنى فهمته فهماً رديئاً .. وبين قولك

إنني غضبت من إنسان لأنى أكره هذا الشخص ولا أطيق كلامه .

(٤) اهتم أيضاً بمدة الخطية .. ارتكابها مرة واحدة أو أكثر .. هل أصبحت عادة متملكة عليك وتجد صعوبة فى الإقلاع عنها .

(٥) اهتم كذلك بمشاعرك أثناء فعل الخطية .. هل كنت مسروراً بها أم نافراً منها ؟.

(٦) لا تحاول التماس لنفسك الأعذار . وأن تتسبب سقطاتك للآخرين مثل قولك . الشيطان ضحك على فى كذا و كذا ... الشيطان مدان وانت برئ . الخطية انت تفعلها بارادتك وحدك . شخص ضايقنى وأنا اضطررت للغضب .

(٧) كن أميناً فى اعترافاتك .

(٨) اهتم بالنواحي الايجابية في اعترافاتك . الفضائل التي قصرت في التحلى بها : المحبة فى كل تفاصيلها . واجبات العبادة . انكار الذات - الطهارة .. طهارة الجسد ، الحواس ، القلب ، والفكر .

(٩) ولا تظن أن اعترافك يقتصر على الناحية الروحية بمعناها المفهوم لدينا ، دون نواحي حياتك الأخرى . فالسيد المسيح له المجد يأمرنا بالكمال: " فكونوا أنتم كاملين كما ان أباكم الذي في السموات هو كامل " . (مت ٥ : ٤٨ ) .

ويأمرنا بالأمانة " كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة . "(رؤ ٢ : ١٠) . وطبعاً الكمال والأمانة في كل شئ

(١٠) اعترف بالخطايا حتى لو كانت لديك معرفة بعلاجها . الاعتراف ليس لمجرد العلاج وإنما لنوال الحل والمغفرة ولا غفران بدون إقرار بالذنب والخطية .

(١١) يجب أن تصارح أب اعترافك بكل مافى نفسك حتى لو كان من جهته هو .

(١٢) استمع جيداً لنصائح أبيك الروحي واقبلها . وإذا اتعبك شئ منها فصارحه بذلك ، كالمريض الذى يصارح الطبيب بأنه استراح الى الدواء أو لم يسترح . فيستطيع الأب الكاهن أن يعينك فى ذلك ويعطيك ما يناسبك من التداريب الروحية .

### الحل من الخطية

\* **صلوات التحليل** : بعدما تكون قد اعترفت أمام أبيك الكاهن اعترافاً كاملاً بكل خطاياك ، اركع فى خشوع وقل له : " حاللنى يا أبى من خطاياى التي اعترفت بها ومن المستترة أيضاً " .

فربما تكون هناك خطايا نسيت أن تذكرها . وحينئذ سيمد الكاهن يده بالصليب ، ويضعه على رأسك ، ويصلى عنك صلاة التحليل .

وتنقسم صلاة التحليل إلى ثلاث طلبات :

التحليل الأول والثانى والثالث .

**التحليل الأول :**

نعم يارب يارب الذى أعطانا السلطان ان ندوس  
الحيات والعقارب وكل قوة العدو ....

**التحليل الثانى :**

انت يارب الذى طأطأت السموات ونزلت ....

**التحليل الثالث :**

أيها السيد الرب يسوع المسيح ، الابن الوحيد ، وكلمة  
الله الأب ، الذى قطع كل رباطات خطايانا ...  
**نتائج صلوات التحليل هذه فهى :**

(١) مغفرة لخطايانا : بالكيفية التى وقعنا فيها " بعلم أو  
بغير علم " .

(٢) مغفرة لخطايانا بأنواعها التى فعلناها " بالفعل أو  
بالقول " .

(٣) مغفرة لخطايانا التي وقعنا فيها تحت مختلف الظروف " بجزع القلب أو بصغر النفس . ثم بركة ، طهارة ، وحل من كل قيود الخطايا وسلطانها ...  
بعد صلاة التحليل تأكد أن الرب رفع عنك خطاياك .  
تقدم في محبة وخضوع وقبّل الصليب الذي في يد الأب الكاهن لتتزوّد بقوة وبركة وفاعلية الصليب في حياتك الروحية .

الفصل الخامس :

# كيف تجاهد روحياً؟!

كيف نجاهد روحياً؟! . santamariaegypt.org

" إن كان أحد يجاهد ولا  
يكلل إن لم يجاهد قانونياً  
"

(٢تى ٢: ٥)

كثيرة هي الآيات التي تشرح ضرورة الجهاد .. وكمثال  
يقول معلمنا بولس فى رسالته إلى العبرانيين: " لذلك نحن  
أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا  
لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر  
بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا " (عب ١٢: ١) يقول  
الرسول هذا ، ثم يوبخ العبرانيين قائلاً : " لم تقاوموا بعد  
حتى الدم مجاهدين ضد الخطية " (عب ١٢: ٤) .

فالمفروض أن نجاهد ، وليس جهاداً عادياً انما جهاد حتى  
الدم ضد الخطية . ثم الى متى هذا الجهاد ؟ . يقول رب  
المجد يسوع : " ولكن الذى يصبر الى المنتهى فهذا  
يخلص " (مت ١٠: ٢٢) . وهنا يعترض الذين يقولون

بأهمية النعمة دون الجهاد بالاية القائلة " فإذا ليس لمن  
يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذي يرحم " (رو ٩ : ١٦) .

- ما معنى هذا ؟

هل رحمة الله هي التي تعطينا الخلاص المجاني ، وتتقلنا  
إلى الملكوت ، بدون سعى وبدون مشيئة صالحة ؟  
مستحيل !!

هل معنى هذا أن كل انسان ينام فى الخطية كما يريد ولا  
يسعى نحو الخير ، ولا يريده ، يرحمه الله ؟ كلا ! .  
فإن بولس نفسه الذى كتب هذه الكلمات يقول : " قد  
جاهدت الحسن أكملت السعى حفظت الايمان وأخيراً قد  
وضع لى اكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب  
الديان العادل وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون  
ظهوره أيضاً " (٢تى ٤ : ٧ ، ٨) .

معلمنا بولس أكمل السعى ، ونال إكليل البر نتيجة لهذا  
السعى وهذا الجهاد الحسن .

ويقول أيضاً معلمنا بولس : " كل من يجاهد يضبط نفسه  
فى كل شئ . أما أولئك فلكي يأخذوا أكليلا يفنى وأما

نحن فإكليلا لا يفنى . إذا أنا اركض هكذا .. بل أقمع جسدي واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لأصير أنا نفسي مرفوضاً " (١كو١ : ٢٥-٢٧) .

فبولس نفسه يركض ، بولس الذى كان ممثلاً من الروح القدس ، الذى كانت تعمل فيه النعمة أكثر من الجميع ، هل كان محتاجاً أن يركض ؟ .. نعم كان محتاجاً أن يركض ، لكى ينال بل يجمع جسده ويستعبده حتى لا يصير هو نفسه مرفوضاً . فان كان بولس الرسول يجاهد ويخاف أن يُرفض ، فماذا نفعل نحن ؟!

### الحرب الروحية

لنتأمل ما ورد فى الإصحاح السادس من الرسالة إلى أهل أفسس : (أف٦ : ١٠-١٨) .

" أخيراً يا اخوتى تقفوا فى الرب وفى شدة قوته . البسوا سلاح الله الكامل لكى تقفوا أن تثبتوا ضد مكاييد ابليس . فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين .. مع أجناد الشر الروحية فى السماويات .. فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر .

وحازين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام . حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرّون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة . وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله . مصليين بكل صلاة وطلبه كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبه لأجل جميع القديسين " (أف ٦ : ١٠ - ١٨)

هنا مصارعة وهنا حرب روحية ، أي هنا جهاداً ، والسلاح هو سلاح الله ، هو الإيمان . هو الاعتماد على الرب لكن ليس معنى ذلك أننا لا نجاهد ، فالنعمة هي السلاح ، والجهاد هو الحرب ، جاهد إذن واعتمد على الله في جهادك ، والله سوف يعطيك حياة النصر . ولا تصبح مثل شخص أخذ ترس الإيمان وخوذة الخلاص وسيف الروح ومنطقة الحق ودرع البر ووقف ساكناً لا يحارب . فكيف ينتصر ان لم يستعمل درع البر وسيف الروح الذي هو كلمة الله . انها حرب و جهاد و قتال و صراع ، والأسلحة هي اسلحة الله ، ولكن لا بد لك أن تستخدمها وتحارب بها ، وإلا فستهزم .

ان الأشخاص الذين ذكرهم بولس الرسول باكياً كانت معهم الأسلحة الروحية ولكنهم لم يحاربوا ولم يجاهدوا ، ومالت نفوسهم نحو الخطية وسلموا نفوسهم لها ، فهلكوا في خطاياهم .

ويقول معلمنا بولس الرسول : إن كان أحد يجاهد لا يكلل  
إن لم يجاهد قانونياً " (٢تى ٢ : ٥) .

إذن لابد أن تجاهد ، وتجاهد قانونياً ، وبهذا تخلص .  
ويقول معلمنا بطرس الرسول فى رسالته الأولى :  
" اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول  
ملتمساً من يبتلعه هو . فقاوموه راسخين فى الايمان "  
(١بطه : ١٨) .

أى جاهدوا ضده ، وليس بقوتكم بل راسخين فى الإيمان ،  
أى قاوموه بنعمة الله . جاهد ولا تعتمد على ذراعك  
البشرى . جاهد بكل ما أعطيت من قوة ، معتمداً على  
نعمة الله ومعونته وفعل الروح القدس .

## الجهاد القانونى :

الجهاد القانونى الذى يحظى بعطايا النعمة للخلاص ..  
الجهاد القانونى يكون وفق وصايا الإنجيل بالحب  
والاتضاع

(١) يجاهد الانسان فكرياً ، بمعنى أنه يرفض كل فكر  
يعرض عليه ليباعد بينه وبين الرب .. مقابل هذا يوهب  
الإيمان الذى يرتقى به إلى مستوى الثقة فيما يرجى  
والإيقان بالأمور التى لا ترى ، أي يرتفع إلى مستوى  
يتجاوز فيه كل حدود المقاييس البشرية .

(٢) يجاهد لكى يرفض اغراءات العالم . فيوهب القوة التى  
بها يحيا فى شركة مع الله ، أو أنه يرتفع بالحياة مع الله  
فوق كل ما للعالم من مطالب ، تؤدى به للموت ثم الهلاك  
(٣) يجاهد لكى يرفض الحواجز النفسية والروحية .  
فيوهب القوة فى دم المسيح التى بها يخترق كل هذه  
الحواجز .

(٤) يجاهد فى تنفيذ الوصية .

ليعطيه الرب نعمة إمكانية تنفيذ الوصية ويسلك بالكمال .

(٥) يجاهد لكي تسكن كلمة الله المحيية أعماقه .

فيوهب الذهن الروحي الذي يقبلها ، ليسلك في القداسة التي يريدها لنا الرب .

(٦) يجاهد ليصلى بالانسحاق والتضرع والتذلل قدام الرب ، والدموع . كما كان السيد المسيح له المجد ، يصلى في بستان جثسيماني " وكان عرقه يتصبب كقطرات الدم " وقضى الليل كله في الصلاة . وفي جهاده ومثابرته في الصلاة ، يوهب بالروح ما يصلى به ، ويمنح الإحساس بالحضور الالهي .

(٧) أن يجاهد في التوبة . ويقطع عن نفسه كل رباطات الموت . فيوهب الإمكانية لذلك ويعطيه الرب قلباً جديداً حياً ، لا يمكن لرباطات الموت أن تمسك به .

(٨) يجاهد في المطانيات ، وينسحق قدام الرب . ويقول " لصقت بالتراب نفسي فأحيني حسب كلمتك " فيعطيه الرب انسحاقاً داخلياً . ويتخلص من كبرياء الذات

## (٩) يجاهد فى الصوم .

المثابرة فى الصوم والزهد فى طعام الجسد ورفض لشهوات الجسد ورغباته . فيوهب نعمة خاصة وينال نقاوة الفكر والقلب وينعم بهدوء النفس وحياة التأمل .

## (١٠) يجاهد فى الخدمة .

يبذل ذاته من أجل الآخرين . فيوهب نعمة التجرد وحب العطاء فيقدم ذاته ذبيحة حب من أجل الله . وبالإجمال يجاهد في كل الممارسات الروحية . ليأكل من شجرة الحياة ، فيعطيه الرب النصر والغلبة ، وبيده الطاهرة يقدم له جسده المبذول ودمه المسفوك ، كطريق أوجد للاتحاد به ، والثبات فيه .

ما أكثر النصوص المقدسة التي تؤكد ضرورة الجهاد ، لكي يوهب المؤمن من الرب كل الهبات اللازمة لتمام الخلاص . إن لم يكن هناك أية ضرورة للجهاد ، فما هو المعنى الذي كان يقصده الرب يسوع من الوصايا التي أعطاه لكل أولاده ، لكي يسلكوا في القداسة وينشدوا دائماً الكمال الذي لأبيهم السماوي ، لقد أجمل الرب كل

مقاصده في القول الالهى المقدس : " اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق . فإني أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدر . " ( لو ١٣ : ٢٤ ) .

الإنسان في أيام غربته على الأرض التي هي فترة إعداد واختبار وتمحيص للأبدية . فلا بد أن يجاهد الإنسان في حياته طالباً من الرب أن يسنده بنعمته ويكمل جهاده على الأرض ليقول فى النهاية : " الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك " ( لو ٢ : ٢٩ ) . ويقول مع الرسول بولس : " لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً " ( فى ١ : ٢٣ ) .

لا يوهب الإكليل بدون غلبة ، ولا توجد غلبة بدون جهاد .

ففي الأبدية الأكاليل معدة للغالبين والمنتصرين ، الذين نالوا النصر على الشيطان ، والعالم والخطية وشهوات الجسد . وصارت أرواحهم نقية فيكافؤوا فى قيامة الأبرار

- من أقوال القديس مقاريوس الكبير :

من يريد أن يأتى إلى الله ليستحق الحياة الدائمة ، وليكون مسكناً للسيد المسيح ويمتلئ من الروح القدس ينبغي عليه أولاً أن يكون مؤمناً إيماناً ثابتاً بالله ، وأن يتفرغ لعمل وصاياه ويرفض العالم بالكمال .

فإذا كان عقله مشغولاً بشئ مما يرى فحينئذ عليه أن يلزم الصلاة ويكلف نفسه بالقيام بكل عمل صالح . وإن كان قلبه لا يريد ، إما بسبب قتال أو لتأصل عادة رديئة أو لعجز وقلة صبر فليجاهد ليخطف ملكوت السموات ، لأن الغاصبين يختطفونه . وليحرص أن يدخل من الباب الضيق ، ويسير فى الطريق الكربة الموصلة للحياة الأبدية ، ويجعل الله بين عينيه دائماً أبداً . مداوماً على عمل ما يرضيه وحده ، فإذا درب الإنسان نفسه على أن يتعود ذلك ذاكراً الرب دائماً مترجياً إياه بشوق كثير ، فحينئذ يخلصه الرب من الأعداء ومن الخطية الساكنة فيه ويملاه من نعمة الروح القدس وهكذا يستطيع أن يعمل الفضائل بالحقيقة بدون تعب ولا تكلف لأن الرب يعينه .

[santamariaegypt.org](http://santamariaegypt.org)

## الباب الثانى :

### اقتناء الفضائل

الفصل الأول :

# الفضيلة ومصادرها ومستوياتها

أولاً : ما هي الفضيلة ؟ ! .

(١) الفضيلة تعنى النقاوة ، أو السير في طريق الله . وقد

تعنى قوة في النفس ، تمكنها من الانتصار على كل نوازع الشر وإغراءاته .. وممارسة الحياة البارة .

(٢) الفضيلة هي الارتفاع فوق مستوى الذات . بحيث

يخرج الإنسان عن دائرة ذاته ، ويعيش لغيره . فيخرج من الاهتمام بنفسه ، أو التركيز على نفسه ، للاهتمام

بالآخرين .. من محبته لنفسه إلى محبته لله وللناس .

(٣) الفضيلة أيضاً هي ارتفاع فوق مستوى اللذة :

الخطيئة هي سعى وراء اللذة . والفضيلة هي ارتفاع

فوق مستوى اللذة ، إلى أن تجد إشباعاً لها في السعادة

الروحية . والسعادة غير اللذة ، والفرح غير اللذة .

اللذة غالباً مرتبطة بالحس ، بالجسد والمادة ، أما

السعادة والفرح فيرتبطان بالروح ... ولذلك الفضيلة

إن تكون ارتفاعاً فوق مستوى المادة أيضاً ...

• ثانياً مصادر الفضيلة :

(١) الحكمة والإفراز والمعرفة .

"الحكيم عيناه في رأسه . أما الجاهل فيسلك في الظلام . "

{جا ٢ : ١٤ }

الحكيم الحقيقي بالضرورة يسلك في حياة الفضيلة . بينما الخاطيء يوصف بأنه جاهل ، مهما كان من العلماء ! . فهو جاهل بطبيعة الأشياء ، جاهل بطبيعة الخير والشر ، جاهل بمصيره الأبدي ، جاهل بما تجلبه الخطيئة من نتائج خطيرة .

جاهل لا يعرف خيره من شره ، ولا نفعه من ضرره ! . هو جاهل من جهة الحكمة الإلهية ، وجاهل من جهة المعرفة الحقيقية .. ومثل هذا الإنسان يحتاج إلى توعية وإلى إرشاد ...

الحكمة تدعو الإنسان إلى السير في الطريق السوي .. وكما يتعمق الإنسان في الحكمة ، على هذا القدر يتعمق في فهم الأمور . ويعرف ما ينبغي أن يكون .

## (٢) قوة الإرادة والعزيمة :

قد لا يستطيع إنسان أن يسلك في طريق الفضيلة ، لأنه مغلوب من نفسه ، لأنه ضعيف الإرادة . وكما يقول معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى روميه : " لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فأياه أفعل . " {رو٧ : ١٩} . ولهذا فإن كثيرين - لكي يحيوا في الفضيلة - يسلكون في تداريب روحية لتقوية إرادتهم . إن الضعف يسبب الوقوع في الخطية . والوقوع في الخطية يؤدي إلى مزيد من الضعف . كل منهما يكون سبباً ونتيجة للآخر .

ولذلك نقول عن الإنسان الفاضل ، إنه إنسان قوى ... قوى في الروح ، وفي الفكر ، وفي العزيمة ، وفي التنفيذ وفي التدريب . إنه قوى في الانتصار على النزعات الداخلية . وقوى في الانتصار على الحروب الخارجية .

## (٣) المبادئ والقيم :

الإنسان الروحي المتمسك بالمبادئ والقيم ، يحيا حياة الفضيلة . لأن القيم التي يؤمن بها تحصنه ، فلا يستطيع أن يخطئ ، مهما حارب بالخطية . أما الإنسان الخاطئ ،

فلا قيم عنده . أي أن الفضائل لا قيمة حقيقية لها في نظره ، حتى يحافظ عليها !! .

وبسبب ضياع القيم ، يقع في الاستهتار واللامبالاة ... لا الوقت له قيمة ، ولا المواعيد لها قيمة ، ولا الواجبات لها قيمة ، ولا النظام العام ، ولا القانون ، ولا التقاليد .. ولا شيء على الإطلاق .. ! .

#### (٤) مخافة الله :

الإنسان الذي توجد مخافة الله في قلبه ، لا يخطئ .. ولهذا قال سليمان الحكيم في سفر الأمثال : " بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهم . " {أم ٩ : ١٠} .

ونجد في هذه الآية الحكمة والمخافة معاً .. الإنسان الروحي ، يخاف أن يكسر وصايا الله . ويخاف اليوم الذي يقف فيه أمام الديان العادل ليعطى حساباً عما صنع .

ويخاف العقوبة .. بل يخاف أن يفقد طهارته ، وأن يفقد الصورة الإلهية . ويخاف أيضاً على سمعته ، ويخاف أن يكون عثرة لغيره .

وبالمخافة ، يسلك في طريق الفضيلة . وبممارسة الفضيلة يحبها . وهكذا يسلك فيها حبا لا خوفاً .

ويقول معلمنا بطرس الرسول : " إن كنتم تدعون أبا الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد فسيروا زمان غربتكم بخوف " {ابط ١ : ١٧} .

ويقول معلمنا بولس الرسول : " تمموا خلاصكم بخوف ورعدة " {فى ٢ : ١٢} .  
(٥) الموهبة الإلهية :

الفضيلة على نوعين ، نوع يولد الإنسان به ، بطبع هادئ طيب .. ونوع يجاهد الإنسان لكي يصل إليه . والذي يولد بالفضيلة ، يحتاج أيضاً إلى جهاد ، لكي يغلب .. لأن عدو الخير لا يشاء أن يتركه في راحة . بل يحاربه محاولاً أن يفقده فضائله .

فالذي ولد بالفضيلة ، يلزمه أن يثبت فيها ، ويصمد أمام حروب العدو . وكما قال الرب لملاك كنيسة فيلادلفيا :  
" ها أنا آتى سريعاً . تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك . " {رؤ ٣ : ١١} .

وأيضاً يجاهد حتى يصل إلى الكمال في فضيلته . إنه جهاد النمو . وجهاد يدخل به من الباب الضيق حسب وصية الرب القائل : " ادخلوا من الباب الضيق . " {مت ٧ : ١٣} .

## (٦) النعمة :

نعمة الله التي تساعد الإنسان وتقويه ، لكي يسلك ويثبت في طريق الله . كما قال معلمنا بولس الرسول : " ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمة المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم . ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي . " {١كو١٥ : ١٠} .

ولأهمية هذه النعمة ، فإن الكنيسة المقدسة تطلبها لنا في كل اجتماع قائلة : " نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين . " {٢كو١٣ : ١٤} على إننا يجب أن نتجاوب مع عمل النعمة . ونشترك مع الروح القدس في العمل .

ذلك لأن نعمة الله العاملة معنا ، لا تهبنا الفضيلة إلا باشتراكنا معها ، وقبلنا لها .

الروح القدس يعمل فينا ، ونحن نعمل معه . نشترك معه في العمل .

إيجابية الفضيلة

## (١) شركة الروح القدس :

الروح القدس يسكن فينا . وهو يعمل فينا . وفى نفس الوقت يعمل بنا .

ولذلك لابد أن نشترك معه في العمل . ولا يمكن أن نأخذ من عمل الروح فينا موقفاً سلبياً .

لذلك فالفضيلة هي شركة مع الروح القدس . هي نتيجة لقوة عمل الله . الذي يقابله تجاوب من إرادة الإنسان . لأنه إن كان الإنسان لا يريد ، فلا يمكن أن تتم الفضيلة

## (٢) محبة الخير :

الفضيلة ليست مجرد عمل الخير ، إنما هي بالأكثر محبة الخير . لأن بعض الناس قد يعملون الخير خوفاً ، أو خجلاً أو تجنباً لكلام الناس . أو يعملون الخير حبا فى المديح ، أو رغبة فى نوال مكافأة ، مجازاة للآخرين ولكن ليس فى كل ذلك فضيلة ... إنما الفضيلة هي حب الخير ، حتى إن لم تفعله لسبب خارج عن إرادتك .

ولكن إن وجدت إمكانية لعمل الخير ، لابد أن تعمله . وهكذا تجتمع نية القلب ، مع الإرادة ، مع العمل . لأن النية وحدها ، لا تفيد الآخرين .

والعمل هو التعبير عما في القلب من مشاعر طيبة .  
الفضيلة لا تقف عند حد ، إنما هي سعى نحو الكمال .

### (٣) سعى نحو الكمال :

فالذي يعمل الفضيلة يود أن ينمو فيها . ويستمر في النمو حتى يصل إلى الكمال الممكن له كإنسان ، أعنى الكمال النسبي . وكما قال رب المجد في العظة على الجبل : " فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل " {مت ٥ : ٤٨} .

والسعي إلى الكمال ، قد يحتاج إلى التدرج . لأن الطفرات السريعة كثيراً ما تؤدي إلى المجد الباطل والافتخار ، وأحياناً تكون لها نتائج عكسية .  
أما إذا أرادت النعمة أن ترفع الإنسان مرة واحدة إلى فوق ، فهذه هبة إلهية غير عادية .

وتأتى هذه الفضيلة بالممارسة في الحياة . ويقول معلمنا بولس الرسول : " إذا لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح . " {روا : ٨ : ١} . ويقول معلمنا يوحنا الرسول : " من قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه

كما سلك ذلك هكذا يسلك هو أيضاً. { ١يو ٢ : ٦ }. إذن الفضيلة هي سلوك بالروح قد يبدأ بالحب . وقد يبدأ بالمخافة ، ويتحول إلى الحب . ولكنه في كلتا الحالتين - حب لله ، وحب للخير ، وحب للغير ، يظهر في سلوك الإنسان وفي حياته العملية .

#### (٤) حياة جهاد :

لأنه كما أن النعمة تحب أن ترفعك إلى فوق ، كذلك قوى الشر لا تريد أن تتركك في راحة ، إنما تحاول أن تجذبك إلى أسفل . وكما قال معلمنا بطرس الرسول : " اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو . فقاوموه راسخين في الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوانكم الذين في العالم " . { ابطه : ٨ ، ٩ } .  
من هنا كانت الفضيلة صراعا ضد الخطية .

#### السلبية والإيجابية في الفضيلة

فمن الناحية السلبية مقاومة الخطية ورفضها، ومن الناحية الايجابية السلوك الطيب في عمل الخير. فليست الفضيلة هي فقط البعد عن الخطية ، إنما أيضا حياة البر . لا يكفي فقط انك لا تكره إنسانا، إنما يجب أن تحب الكل. ليست الفضيلة هي أنك لا تضر الناس، بل هي بالأكثر أن تخدمهم وتعينهم وتتعب لأجلهم .

### مستويات الفضيلة في حياة الإنسان

مستويات في الإحساس ، والفكر، والقلب ، والعمل.....  
المستوى الجسدي للفضيلة ، والمستوى النفسي ، والمستوى الروحي وعلي الإنسان أن يحفظ نفسه في كل مستوى، ويحترس من السقوط في غيره.  
فمثلا الحواس هي أبواب الفكر. فما تراه وتسمعه وتلمسه، قد يجلب لك أفكار. فلكي تحفظ فكرك، احفظ حواسك. وان أخطأت بالحواس، لا تجعل الخطأ يتطور إلي فكرك. فان وصل إلي الفكر اطرده بسرعة. وان وصل الخطأ إلي الفكر، لا تجعله يتحول إلي مشاعر في قلبك. وان تحول إلي مشاعر لا تجعله يتطور إلى الفعل

والعمل. واعلم أن جميع المستويات تتجاوب مع بعضها البعض. وربما يصير البعض منها سببا ونتيجة..  
فخطأ القلب يسبب خطأ الفكر. وخطأ الفكر يسبب مشاعر للقلب. وربما الاثنان يدفعان إلي العمل. والعمل يسبب خطية للحواس ، وكذلك الحواس تقود إلي العمل...أنها دائرة ، أية نقطة تدور فيها، توصل إلي باقي النقط .  
وكما في الشر، كذلك في الخير ، تتعاون المستويات معا.

### الفضيلة من الداخل والخارج

في الداخل ، في القلب والروح والفكر. وفي الخارج في الجسد والممارسة.

الحب مثلا فضيلة في القلب ، ولكن لا بد أن تتحول إلي عمل محبة من الخارج. وفي ذلك يقول القديس يوحنا الرسول : " يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق ". { ١يو ٣: ١٨ } .

وهنا تظهر المحبة التي فيها عطاء وبذل وتضحية.  
فضيلتك التي في فكرك ، لا يشعر بها أحد. فيجب أن يعبر عنها بعملك.

الله نفسه عبر عن مشاعر القلب بالعمل فقيل في انجيل معلمنا يوحنا البشير " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له حياة أبدية. " {يو ٣: ١٦} " أحب العالم " هذا من جهة القلب.. " وبذل ابنه الوحيد" هذا من جهة العمل. والله يعبر عن محبته لنا برعايته وعنايته وحفظه لنا. ومن هنا كان الحب فضيلة القلب والفداء هو العمل والتعبير .

إذا لا نكتفي بأن نقول محبة الله في قلوبنا، إنما ينبغي أن نعبر عن هذه المحبة، وأن نبذل لأجله، ونتألم لأجله... ولا نكتفي بإيمان بغير أعمال، لأن الإيمان بغير أعمال ميت ". {يع ٢: ١٧، ٢٠}.

خشوع القلب من الداخل ، نعبر عنه بخشوع الجسد من الخارج. وهكذا نجد في الصلاة : الوقوف والركوع والسجود ، ورفع الأيدي، والنظر إلى فوق . وثبات النظر بلا تشتت ، والجسد بلا حركة ، والفكر بلا طياشة... نعبر عن المخافة والخشوع بالسجود .

وقول معلمنا بولس الرسول " لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله " {١كو ٦: ٢٠} .

لا يكفي إذا التمجيد بالروح، إنما بالجسد أيضا. المشاعر الداخلية تحتاج إلي التعبير الخارجي. فيشترك الجسد مع الروح. وتكون الفضيلة من الداخل ومن الخارج أيضا. ما يجري في عروقك من مشاعر، ويكون له أثر من الخارج. نريد إذن الفضيلة المثمرة بالعمل الطيب، بالكلمة الطيبة ، بالسلوك الحسن ، بالقوة، بالنور الذي يضيء للآخرين ، بالمحبة العملية.

### تكامـل الفضيلة

الفضائل تتكامل معا، ولا تتعارض. وان سلكت في فضيلة ما ، فلا بد ستقودك إلي فضائل أخرى عديدة...إنها سلسلة مترابطة. احترس من الاهتمام بفضيلة واحدة، تفقد معها باقي الفضائل .

كوني أحب الناس ، هذا أحسن.ولكن ليست محبتهم معناها مجاملتهم في كل شئ ، ولو علي حساب الحق. ولكن أحب الله، وأحب الناس في نفس الوقت. وليس الحب معناه العطف الجسدي أو المادي فقط ، إنما معناه أولا الحب الروحي.

محبة الله يجب أن ترتبط أيضا بمخافته ، أي بمهابته.

## أقوال الآباء :

(١) سأل أخ شيخا: كيف تقنتي النفس الفضيلة؟

أجاب الشيخ: إذا هي اهتمت بزلاتها وحدها .

(٢) إن الفضيلة تريد أن نريدها لا غير

أحد الآباء

(٣) لا تظن في نفسك أنك تتال مسيرة فاضلة أو صلاحا  
لنفسك بغير تعب .

ماراسحق السرياني

(٤) إن حد كل تدبير للسيرة يكون بهذه الثلاثة : التوبة -

النقاوة - الكمال . ما هي التوبة؟ هي ترك الأمور

المتقدمة والحزن من أجلها. ما هو الكمال؟ هو عمق

الاتضاع ورفض كل ما يرى ولا يرى ، أى ما يرى

بالحواس ، وما لا يرى بالهذيد عليه .

(ماراسحق السرياني)

(٥) قال آخر: من أجل هذا لسنا نفلح لأننا لا نعرف

مقدرتنا ، وليس لنا صبر في عمل نبدأ به ، ولكننا نريد

أن نقنتى الفضائل بلا تعب.

(٦) ومرة قال الطوباوي أوغريس للقديس أرسانيوس:  
كيف وليس لنا معرفة وحكمة بشرية ليس لنا فضائل ،  
وهؤلاء القرويون المصريون أغنياء بها.  
أجاب أنبا ارسانيوس :

نحن ليس لنا معرفة عالمية ولكن هؤلاء المصريون  
القرويون اكتسبوا الفضائل بجهدهم .

(٧) لماذا نحب الفضائل .!؟

(أ) لنحب المسكنة لنخلص من محبة الفضة.

(ب) لنحب السلامة لننجو من البغضة.

(ج) لنقتن الصبر وطول الروح ، لأن ذلك يحفظنا من  
صغر النفس .

(د) من له معرفة وهمه قد هزم الشر لأنه مكتوب ان  
الاهتمام ملازم للرجل الحكيم ، والضعيف الهمة لم  
يعرف بعد ما هو لخلصه، أما الذي يقهر أعداؤه  
فإنه يكلل بحضرة الملك.

(هـ) لو لم تكن حروب وقتال ما كانت فضيلة ومن  
يجاهد بمعرفة فقد نجا من الدينونة لأن هذا هو  
السور الحصين .

[santamariaegypt.org](http://santamariaegypt.org)

الفصل الثاني :

## فضائل جوهرية للحياة الإيمانية

## أولا : الإيمان

\* ما هو الإيمان!؟

- الإيمان حياة يحيها الإنسان " أما البار بالإيمان يحيى  
وان ارتد لا تسر به نفسي." . {عب ١٠: ٣٨} .

وإلا صار إيماننا نظريا يتلخص وينحصر في اعتناق عقائد  
معينة يرددها الإنسان كما في قانون الإيمان... ولا فائدة  
للإيمان بالله بدون علاقة خاصة به، تقودنا إلى محبته  
وطاعته، وتؤول إلي عشرة تبدأ هنا ونستكملها في الملكوت  
الأبدي..ولا فائدة للإيمان بحياة بعد الموت إن لم نعد  
أنفسنا لها بالتوبة والمحبة والجهاد. هذه هي حياة الإيمان .  
الإيمان العملي الذي يخلص النفس وتظهر ثماره في  
حياتنا، وليس الإيمان النظري الذي لا يخلص النفس بل  
يجلب عليها دينونة... الإيمان ليس بالادعاء أو الانتساب  
أو الوراثة ، كأن يدعي الإيمان حاملا اسم مؤمن، أو ينحدر  
من أسرة مؤمنة تقية...

والإيمان ليس مجرد عقيدة نظرية بل هو حياة وهو يختبر  
بحياة الطاعة لله . " وبهذا نعرف أننا قد عرفناه ان

حفظنا وصاياه . من قال قد عرفته وهو لا يحفظ  
وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه. " { ١يو ٢: ٣، ٤ } .  
والإيمان بالله لا يتطلب معرفة لاهوتية ، لكنه يتطلب  
بالدرجة الأولى ثقة في الله وتصديقا لأقواله ومواعيده...  
ويقول معلمنا بولس الرسول في رسالته للعبرانيين عن  
الايمان: " وأما الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان  
بأمور لا تري." {عب ١١: ١}

ولأن الايمان هو ثقة مطلقة في الله وكلامه المقدس  
واعلاناته لذا " كل ما ليس من الإيمان فهو خطية "  
{رو ١٤: ٢٣} . لان عدم الإيمان يعني انعدام الثقة في الله  
وكلامه المعلن...

### علاقة الإيمان بالحياة الروحية :

ولأن الإيمان المسيحي مفروض فيه أن يكون إيماننا عاملا  
بالمحبة ، فلابد وأن يكون وثيق الصلة بحياة الإنسان  
الروحية . ونحن بالإيمان نتغير وننمو، بل بالإيمان  
نتجاوز أنفسنا...

(١) الإيمان يؤثر علي وعي الإنسان وإرادته... فالإيمان  
يثبت العقل ، ويلقي فيه بذار زرع مقدس جديد ، به

يقاوم الإنسان تجربة إشباع الأهواء وإخضاع كل شئ لها... وبالاجماع فان الايمان يسمو بالإرادة..ويقول الرسول بولس : " ولكن بدون إيمان لا يمكن ارضاءه لأنه يجب أن الذي يأتي الي الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه." {عب ١١:٦} .

(٢) الإيمان وثيق الصلة بالصلاة : ويقول القديس اغسطينوس عن علاقة الإيمان بالصلاة :

" ان لم يكن فيك إيمان، فلا مجال للصلاة. اذا كيف تصلى كمن لا تؤمن به.الإيمان هو ينبوع الصلاة. ويظهر الرسول أن الايمان هو ينبوع الصلاة بقوله : " فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به . " {رو ١٠:١٤}

والنتيجة أمن لكي تصلي ، وصلي حفاظا علي إيمانك الذي به تصلي ، الايمان يفيض صلاة. والصلاة المفاضة تقوى الايمان ... "

(٣) الإيمان يولد فينا الصبر: وما يناله الإنسان بالصبر لا يستطيع أن يناله بوسيلة أخرى .

(٤) الإيمان يمنحنا قوة في زمن التجارب والشدائد: الايمان النقي يحيا وسط التجارب وضيقات هذا العالم.

العالم يهتز، أما الإيمان فلا يتزعزع ، بل هو الإيمان  
الراسخ. بالإيمان يعرف الإنسان أنه ليس وحده في  
حروبه وجهاداته.. الإيمان يقوى ثقة الإنسان في  
جهاده ويقوي رجاءه في الله .

(٥) الإيمان يزيدنا ثقة في تصديق مواعيد الله. كل  
مواعيد الله هي لنا ، وننالها بالإيمان...الإيمان بمن؟!  
"برئيس الإيمان ومكمله يسوع" {عب ١٢: ٢}...وتعبير  
"رئيس الإيمان" يعني بدء الإيمان وعلي ذلك فان  
المسيح هو أساس إيماننا، وبدء إيماننا ومكمل  
إيماننا...وبالإيمان به ننال كل شئ حسب مواعيده  
الصادقة ، ان حفظنا وصاياه ، وعشنا في طاعة  
الإيمان لله ولكنيستة  
"عمود الحق وقاعدته" . {اتي ٣: ١٥} .

### ثانيا : الرجاء

الرجاء هو احدي الفضائل الكبرى " الإيمان والرجاء  
والمحبة" {١كو ١٣: ١٣}.

الإيمان يعطى رجاء ومن يكون له رجاء في الله يحبه، وهكذا يصل إلي قمة العلاقة بالله بالمحبة... وهكذا نرى الارتباط الوثيق بين هذه الفضائل الثلاث الكبرى . لا يمكن الفصل بينهما وان كان يمكن تمييزها عن بعضها... المحبة تعتمد علي الإيمان والرجاء . والإيمان يعتمد على الرجاء والمحبة، والرجاء يعتمد علي الإيمان والمحبة... وتبدو أهمية الرجاء أن من يفقده يمكن أن يفقد معه كل شيء، حتي الحياة ذاتها ، حينما ينقطع رجاءه ، أى يقع في اليأس والقنوط... والرجاء هو الذي يدفع الإنسان إلى الجهاد والتعب، سواء في حياته الجسدية والروحية. لأنه إذا تملك الإنسان شعور بأنه لا أمل ولا فائدة من التعب والجهاد، فسوف يتوقف تماما عن العمل والجهاد... إذا فالرجاء والحال هذه قوة دافعة في حياة الإنسان... وكما يرتبط الرجاء بالإيمان والمحبة، فانه يرتبط أيضا بالفرح. قد يسقط الانسان في خطية ما، لكن الرجاء يبعث فيه أملا، فتزول كآبته ويحل الفرح محلها. والرجاء عطية مجانية من الله... يقول الرسول بولس: "وربنا نفسه يسوع المسيح والله أبونا الذي أحبنا

وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالحاً بالنعمة. يعزى قلوبكم  
ويثبتكم في كل كلام وعمل صالح" {٢تس ٢: ١٦، ١٧}.

ولان عكس الرجاء هو اليأس أو قطع الرجاء، فإن  
خلاصنا هو بالرجاء... وإذا كان الرجاء عطية مجانية  
من الله، فإنه يرتبط بخلاص الإنسان المجاني... ويقول  
معلمنا بولس الرسول: " لأننا بالرجاء خلاصنا. ولكن  
الرجاء المنظور ليس رجاء. لأن ما ينظره أحد كيف  
يرجوه أيضاً. ولكن أن كنا نرجو ما لسنا ننظره فأننا  
نتوقعه بالصبر." {رو ٨: ٢٤، ٢٥}. والرجاء له أثره وأهميته  
في حياة الإنسان علي المستوى الشخصي لكن هذا الرجاء  
الشخصي يرتبط بالرجاء في المسيح قبل كل شيء لأنه هو  
رجاؤنا. ولأننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً {يو ١٥: ٥} .  
فهو الذي قال عنه يوحنا الإنجيلي: "كل شيء به كان  
وبغيره لم يكن شيء مما كان." {يو ١: ٣} المسيح الذي عرفه  
القديس بولس وقال: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي  
يقويني" . {في ٤: ١٣}. المسيح الذي هو رجاؤنا - ليس  
في هذه الحياة الحاضرة فقط بل وفي الدهر الآتي - والا  
صرنا أشقي جميع الناس {١كو ١٥: ١٩}

## ثالثا : المحبة

حينما نتحدث عن المحبة، فاننا نتحدث عن أعظم الوصايا الالهية، بل الكل مجموع في واحد. ونتحدث عن ما هو شهى الي قلب الله الذي هو المحبة ذاتها... والمحبة شئ يسهل علي الانسان اتمامه. فأنتك أن أردت أن تحب الله لا تحتاج الي جهادات أو أتعب ومشقات أو أموال أو وساطة بشرية. بل يكفيك الرغبة في أن تحب الله فلا تجد ما يمنعك عن ذلك.. ان المحبة بقدر سموها وعظمتها فهي سهلة. وقال الرب يسوع عن الوصية العظمي: " تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمي. والثانية مثلها. تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء. " {مت ٢٢: ٣٧، ٤٠}.

### محبة القريب :

"هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم" {يو ١٥: ١٢} محبة الله حين تملأ قلوبكم تصير ينبوعا متدفقا تجاه الآخرين، وبواسطة هذه المحبة نستطيع أن نحب الآخرين. فهي محبة إلهية منسكبة في داخلنا

وتلهب كيانا. وتتحول المحبة إلي سلوك عملي روحاني في البذل والعطاء للآخرين. وإذا كنا نحب بعضنا بعضا، هذا دليل علي محبتنا لله. وإذا كنا نحب الأخوة ننتقل من الموت إلي الحياة. "نحن نعلم أننا انتقلنا من الموت إلي الحياة لأننا نحب الأخوة. من لا يحب أخاه يبقى في الموت" {أيو ٣: ١٤}.

### المحبة بالعمل والحق :

"وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق أحشائه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه. يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق." {أيو ٣: ١٧، ١٨} فإذا نتذوق الحب خلال العطاء المادي نستعذبه وندرك حلاوته الداخلية ، فنستطيع بالرب يسوع أن نحب أخوتنا ونحب الله حتى الموت .

فالرب لا يطلب الصدقة لأجل إشباع الفقراء إنما لنقدم له تقديما الحب الشهي فيقبلها منا رائحة عطرة. وأن أحببنا أخوتنا عمليا، وبالحق أي في المسيح يسوع. وليس بقصد المجد الباطل فأننا بهذا نعرف أننا ثابتون فيه، أي ثابتون في الرب يسوع الحق ، وتطمئن قلوبنا قدام الله فاحص

القلوب .

وفي حبنا لأخوتنا لا نطلب مديح الناس ولا شهادتهم، لأنهم لا يعرفون دوافعنا الداخلية، بل شهادة الله. لأن شهادة الله أعظم من شهادة الناس، وبذلك نؤهل للمجد السمائي والمكافأة العظمي والإكليل المعد.

### أقوال الآباء :

(١) إذن لندريب أنفسنا علي محبة الأخوة... فإن أحببت أخاك ستعاين الله ، لأن بمحبتك لأخيك تعاين المحبة ذاتها التي فيها يسكن الله.

القديس أغسطينوس

(٢) البناء لا يمكن أن يبني من أعلاه إلي أسفله ، ولكن الأساس أولاً، وبعد ذلك البناء من أسفل إلي فوق. لأن أساس كل عمل صالح هو محبة القريب. فيجب علينا قبل كل شئ أن نبدأ بها، لأن وصايا المسيح إلهنا كلها مبنية علي هذا الأساس، الذي هو المحبة.

القديس أنبا بموا

[santamariaegypt.org](http://santamariaegypt.org)

## رابعاً: اقتناء الاتضاع

### كيف أقتني الآباء الاتضاع !؟

الآباء أقتنوا الاتضاع عن طريق الجهاد الروحي ، وممارسة التداريب الروحية بواسطة النعمة الموهوبة من الله التي كانت تعضدهم وتسندهم في جهادهم. واقتناء الاتضاع عند الآباء لم يكن هدفاً في حد ذاته كفضيلة يجب أقتناءها، بل هم ساروا علي منهج الرب يسوع الذي قال بفمه الطاهر: "احملوا نيري عليكم وتعلموا مني. لأنني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملتي خفيف" {مت ١١: ٢٩، ٣٠}. فتعلموا من الرب الاتضاع بما استوعبوه من أقوال الرب يسوع وأعماله المحيية والمسطرة في الأنجيل.

وتنفيذ وصايا الرب بالحب، فأحبوا الرب من كل قلوبهم ولم يكن أي شئ يستطيع أن يفصلهم عنه. كما قال معلمنا بولس الرسول في رسالته الي أهل رومية: " من سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم

عري أم خطر أم سيف. كما هو مكتوب أننا من أجلك  
نمات كل النهار. قد حسبنا مثل غنم للدبح. ولكننا في هذه  
جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فأني متيقن أنه  
لاموت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا  
أمور حاضرة ولا مستقبله. ولا علو ولا عمق ولا خليفة  
أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح  
يسوع ربنا" {رو ٨: ٣٥، ٣٩}. فقبول الألم بالحب ، يقود  
الي الأتضاع والأتضاع يعطى قوة الاحتمال ، وفي  
الأحتمال يجد المعونة من عند الرب الذي يعضد ويسند  
بالنعمة الذين يحتملون الآلام باتضاع. وأحبوا الأتضاع  
ليصيروا قريبين من الرب، والرب قريب منهم. فأن كان  
تدريب الأتضاع في بدايته صعبا وشاقا، الا انه ما يلبث  
أن يصبح أمرا محببا للنفس التي تمارسه بعد أن تتذوق  
حلاوته .

( في الابتداء نبغض المديح بتغصب وتعب ، ثم ينمو  
الأتضاع بفعل الفضائل فيحسب الإنسان كل ما يكمله من  
صلاح كلا شيء ، بل كالشيء المرذول ، حتي نري كأننا  
نزيد علي خطايانا. وحينئذ يتحفظ العقل في خزانة

الاتضاع ، فلا يسرق من مناظر ومسموعات. واذا نما الاتضاع الي طبقة الكاملين ، فلا أعرف أن أشرحه حينئذ. أنه كالنبات الذي لا يقف نموه مادام يسقي من ماء الفضائل الطاهرة ) .

القديس يوحنا الدرجي

### خامسا : العبادة الحقيقية

العبادة الحقيقية هي رؤية الله، وتعبير عن أفكار العابد ومشاعره من نحوه... انها بالدرجة الأولى عمل الروح. لا يجب أن تصرفنا طقوس العبادة الكنسية عن الجوهر الذي تهدف اليه الكنيسة، وهي أننا نقدم عبادتنا لله بالروح لأنه هو الروح . " لأن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا " {يو ٤: ٢٤}..

ان العبادة تصبح كلا شئ ما لم تكن لله وحده ، وما لم تتلاحم الروح معه... ان عبادتنا ترتبط بقبولنا لله. العبادة هي عمل تقوي يقدم لله ويوجه له شخصيا حينما يمثل العابد في حضرته... وهذا لا يأتي ما لم يحس

الإنسان أنه في حضرة الله من يريد أن يكون عبدا حقيقيا، عليه أن يعرف أولا الطريق إلي عرش النعمة.. انه طريق واحد. هذا الطريق هو الرب يسوع له المجد فهو الطريق الوحيد.. " أنا هو الطريق والحق والحياة " {يو ١٤:٦} والوسيط الوحيد بين الله والناس {١٢:٥}... والطريق الذي يجب أن يسلكه العابد هو طريق الصليب ، طريق الحب والجهاد!! وأولاد الله وحدهم هم الذين يستطيعون أن يعبدوه بالحق لأنهم يعرفون الطريق.. حينما يمارس الإنسان العبادة عليه أن يخلي ذاته من كل شيء، ليكون بكليته لله. حينئذ يتحدث العابد اليه ويستمع اليه وهو يحدثه ويكشف له من أسراره "سر الرب لخائفيه " {مز ٢٥:١٤}. ان تفكيرنا في الله وكل ما يتعلق به يقدم لنا مادة لعبادته ... في الله نري كل العظمة والقوة والسيادة.. وفي ملكه اللانهائي يطوف الفكر سريعا وبعيدا.. ان الشمس والكواكب والأقمار والأفلاك، ليست سوي نقطة ضئيلة في مملكة الله غير المتناهية... حينما نتقدم لله لعبادته ، نقف بخوف ورعدة أمام ملكنا العظيم، فنحنني أمام عظمته، ذلك الذي : " كال بكفه المياه وقاس

السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال  
بالقبان والآكام بالميزان. " {اش ٤٠:١٢} .  
لا شئ يشبع القلب الجائع العطشان مثل المجدى للواحد  
الكلي القوة والسيادة والمعرفة، لكيما نعبده عن حب...  
ولعله مما يحرك فينا المشاعر نحو الله التأمل في محبته  
ورحمته ونعمته المجانية التي أظهرها في ابنه يسوع  
المسيح ربنا... "هكذا أحب الله العالم حتي بذل ابنه الوحيد  
لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة  
الأبدية" {يو ٣:١٦} . ان تذكر هذه الأمور يحرك الإنسان  
للعادة. ان الإنسان يجد أسبابا كثيرة تحفزه علي التعبد،  
حتي أن أولاد الله يشعرون بنيران التعبد تشتعل دائما في  
قلوبهم، ما لم تأتي فيضانات هموم العالم لتغرق الإنسان  
وتطفئ نار قلبه المقدسة... في هيكل العهد القديم كانت  
النار في مذبح المحرقة تظل مشتعلة أبدا لا تنطفئ. هكذا  
المذبح الداخلي للإنسان ، في قلبه لا تنطفئ نار المحبة،  
ولا تقل حرارتها، إلا عندما يحول الإنسان وجهه عن الله،  
وينسي كل عمل الله معه وأحسن به إليه.. ليتنا نتذكر  
كلمات صاحب النشيد: "مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ

المحبة والسيول لا نغمرها. ان اعطى الإنسان كل ثروة  
بيته بدل المحبة تحتقر احتقارا " {نش ٨:٧} "باركي يا  
نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته. {مز ١٠٣:٢}. لنخلص  
في عبادتنا للرب في كل وقت، لتصير هذه العبادة بالحب  
والانسحاق من أعماق القلب الداخلية بتذلل أمام الله  
ودموع... فيسكب الله في قلوبنا الفرح ويملأها بالسلام  
وينقلنا إلي السيرة الروحانية والحياة الملائكية لحساب  
الملكوت والحياة الأبدية.

الفصل الثالث :

## فضائل للحياة الروحية

## أولاً : الصوم

### جوهر الصوم

جوهر الصوم هو انطلاق الروح من مطالب هذا الجسد الذي يعطل سمو الروح ، ويرتفع بعيداً عن ثقل المادة ، فتنجس الروح والجسد معاً في اتجاه واحد هو محبة الله والتمتع بعشرته .

هذا الصوم يجب أن يكون مقدساً ، أى مخصصاً لله وحده فقط دون شئ آخر .

ثلاثة أشياء لا بد ان تخصصها لله في صومك ، إن أردت ان تقدر هذا الصوم لله .

**فى هذا الصوم الكبير تخصص القلب والفكر والإرادة لله** فلا يكون كل صومك هو انشغال بالأكل والشرب . وإنما امتناعك عن الأكل والشرب ، و ضبط النفس فيما ترغب فيه وتشتهيه ، إنما هو تدريب لهذه الإرادة كيف تقوى ، ولا تكون قاصرة على موضوع الطعام فحسب ، وإنما إرادتك التي نجحت فى السيطرة على الطعام ، تقدم ذاتها لله فى كل شئ .

(١) يجب إن تكون إرادتك وفق إرادة الله .

وهذه هي الحكمة من الصوم . أن منع النفس عن الأكل ، يمتد إلى أن يصير منعاً عاماً عن كل ما يغضب الله . في صومك قدم إرادتك لله في كل تصرفاتك وقل له " لتكن لا إرادتي بل إرادتك " .

(٢) حاول أن تعرف أين تشرذ إرادتك بعيداً عن الله .

حاول بكل جهدك والنعمة تسندك ، لكي تقدم لله إرادة صالحة ترضيه . وهذا التدريب الذي تسلك فيه أثناء الصوم سوف يصحبك بعده أيضاً . لأنه من غير المعقول أن تضبط نفسك في البعد عن خطايا معينة أثناء الصوم ، ثم تبيح هذا الأمر لنفسك عندما ينتهي الصوم !. وإلا فما الذي تكون قد إستفدته من صومك ؟ ! .

(٣) احرص أن يكون الصوم قد غير فيك شيئاً .

لا تأخذ من الصوم مجرد تغيير الطعام ، إنما تغيير الحياة إلى أفضل ..تغيير النقائص التي فيك ، والضعفات التي تكون سبباً في توتر العلاقة مع الله والناس .

(٤) في الصوم يجب ان يكون القلب ملتصق بالله .

هل تعطى قلبك لله كما تعطيه إرادتك ؟ وهل تشعر بحبه أثناء الصوم ؟ وهل هذا الحب طابع واضح في صلواتك وتأملاتك أثناء الصوم .

وهل من أجل محبته نسيت طعامك وشرابك ، ولم تعد تهتم بشيء من هذا ؟ .

(٥) في الصوم ينشغل الفكر بالرب وحده .

الصوم فترة مقدسة للرب ، مخصصة له ، يجب فيها أن ينشغل الفكر بالله وحده .

لندخل إلى أعماق نفوسنا ونفحص ذواتنا جيداً ، وأفكارنا أين هي أثناء الصوم .

هل أنت أيها الأخ في دوامة العمل مشغول ، وفي دوامة الأخبار وكثرة الأحاديث مع الناس ، حتى لا تجد وقتاً لله تعطيه فيه فكرك وربما تصوم حتى الغروب وفكرك ليس مع الله .

ربما تفكر في أمور تافهة ، وتتكلم في أحاديث مطولة لا نفع منها ولا فائدة ولا ثمار تجنى . والله ليس في فكرك .

لا تتذكر الله إلا حين تجلس لتأكل فتصلى فقط .  
وتتذكر أنك كنت صائماً هل هذا صوم روعي يريح  
ضميرك ؟ .

ليتك تتذكر قول داود النبي في المزمور : " جعلت الرب  
أمامي في كل حين . لأنه عن يميني فلا أتزعزع "  
(مز ١٦ : ٨ ) .

تقول هو أمامي في كل عمل أعمله ، وفي كل كلمة أقولها  
الله هو هدفك الوحيد وهو يراك وشاهد على كل شيء  
تعمله وعلى كل فكر تفكر فيه وعلى كل كلمة تقولها .

ليتنا في الصوم نضع الله أمامنا في كل حين لكي ما  
تدركنا مراحم الرب ، ويفيض علينا من مواهبه ويشرق  
على عقولنا بأشعة النقاوة لتستتير بحكمته الإلهية ، وننال  
الفهم الحقيقي من عند الرب .

ثانياً : فضيله الصلاة [santamariaegypt.org](http://santamariaegypt.org)

{١} حديث الصلاة :

لا تظن أن الصلاة هي مجموعة اصطلاحات متراسة متلاصقة ، أو مجموعة آيات محفوظة ، يضاف اليها بعض الألفاظ المنمقة المنتقاة .. لا تظن ذلك ، بل أن الصلاة الحقيقية هي حديث على سجيته .. يفيض بها القلب وينطق بها اللسان . لا تتقيد باستخدام اللغة الفصحى فى صلاتك لئلا يقيد اللفظ المعنى ويمنعك من الانطلاق فى حديث شجى مع من تحبه نفسك ..

لا تكن رسمياً فى صلاتك الى الله .. فعلاقتنا مع الله علاقة بنين لا عبيد . فالله لم يعطنا روح العبودية للخوف بل روح التبني التى بها نصرخ يا أبا الأب .. ستكون أمامه بمفردك .. انطلق من ذاتك ومن قيود المجتمع ، وحدثه عن متاعبك وآلامك وحبك واشتياقاتك ، قل له " انى مغلوب يا إلهى فى كذا و كذا ، وأريد أن أحياء لك فى طهارة وبر ، قونى وأعنى..". ادخل مع الله فى حديث دالة ونقاش كما كان يفعل داود : " ان كنت للأثم راصداً يا رب . يا رب من يثبت أمامك " ذكره بمراحمه مع

آبائك وإحساناته إليهم من جيل الى جيل ، واطلب منه أن يعاملك هكذا ، فهو أمس واليوم والى الأبد .

يجب على المصلى ان يستخدم لغة المفرد فى صلاته فيقول: أنا إنسان خاطئ ، وكثيراً ما أهنئك وأغضبتك يا إلهي وتعديت وصاياك .. " فتعبيرات المفرد توقف المصلى وجهاً لوجه أمام الله ، فيشعر أنه فى حديث واقعي معه . ويعبر عما فى داخله من أتعاب وأحزان ويعترف قدام الرب بخطاياها وما أرتكبه من آثام دون خوف وبصراحة تامة ، وعجزه فى تنفيذ وصايا الرب ، وإذا كان اعترافه صادقاً نابعاً من أعماقه ويشعر بخجل إزاء محبة الله وحنوه ورحمته ، حتماً الرب يقبل صلاته ويمنحه الغفران والفرح والسلام القلبي .

## {٢} عناصر الصلاة :

ليست الصلاة التى نرفعها إلى الله مجموعة طلبات فحسب ، وإلا لكانت علاقتنا به علاقة نفعية .

ولكن هناك مثلاً طلبات من أجل الآخرين تدفع إليها المحبة والخدمة . وقد تكون الطلبة من أجل الآخرين

لأسباب روحية تتعلق بخلاص أنفسهم ، كما قد تكون من أجل خيرهم فى الحياة الجسدية ، كطلب شفائهم من أمراض ، أو انفراج ضيقاتهم ..

وهناك عناصر أخرى ينبغى أن تتضمنها صلاتنا ، تلك التى نلمس طرفاً منها فى كلمات الرسول بولس :

" فأطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس .. " ( ١ تى ٢ : ١ ) .

ونضع الآن أمام أعيننا أربعة عناصر هامة يجب أن نلاحظها فى صلواتنا :

(١) يجب أن نمد الله بكل قوتنا وبقدر استطاعتنا .. ونلمس ذلك فى المزمورين ( ١٠٣ ، ١٠٤ ) .

(٢) نشكر الله من أجل إحساناته لكل البشر عامة ولنا خاصة .

(٣) يعترف الإنسان بخطاياہ وعصيانہ لأوامره ، وطلبتہ الى الله أن يغفر خطاياہ الماضية وأن يشفيه من كل الأمراض الروحية المتسلطة عليه ، والتي تعطل خلاصه

٤) يقدم المصلى الى الله احتياجاته الروحية والنفسية والجسدية وللجميع .

وأخيراً يختم المصلى صلاته بتمجيد الله .. على عظم صنيعه معه وهياً له هذه الفرصة المقدسة التي فيها يلتقى بالله ويتحدث إليه لينال من لدنه رحمة واشراق بالنور الإلهي على العقل فيستنير بالحكمة ويعرف ما هي مشيئة الله الصالحة ، والخير الذي يريده الرب له وأنه سوف يستجيب في الوقت المناسب لأن الله هو صانع الخيرات ويحب الخير لأولاده ويسندهم بنعمته ليكونوا قديسين أمامه وبلا لوم قدامه في المحبة .

لذلك اقتناء فضيلة الصلاة أساسى فى حياة المسيحي ، من خلالها ينال تقديس لكيانه ونمو فى الحياة الروحية .  
فهى مفتاح الأسرار ، فالانسان عديم الصلاة خالى من كل صلاح .

لذلك نحرص على الصلاة فى كل حين كما قال الرب :  
" ينبغى أن يصلى فى كل حين ولا يمل " {لو ١٨ : ١} .

والصلاة هى عمل الروحانيين للسمو فى جميع الفضائل .  
وهى السلاح القوى الذى يحمينا من كل التجارب  
والشرور .

والدخول فى حياة تقوية ، وعلاقة حب شخصية مع الله ،  
وشركة مع السمائيين ، ومن خلال عمل الصلاة يكشف  
لنا أسرار غير معلنة تدريجيا من خلال صلاة بانسحاق  
وايمان ودموع وتذلل قدام الرب . وفى الصلاة نتراءى  
قدام الله ونحظى بالرؤية الروحية والمعينة الإلهية بنقاوة  
القلب .

## ثالثاً: فضيلة العطاء

" وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل  
يمينك . لكي تكون صدقتك في الخفاء . فأبوك الذي يرى  
في الخفاء هو يجازيك علانية " {مت ٦ : ٣ ، ٤} .

- مفهوم العطاء في المسيحية :

الصدقة في مظهرها التخلي عن الماديات وتقديمها  
للرب يسوع في شخص اخوته المحتاجين وفي جوهرها  
تحمل تفريغا للقلب الداخلى عن محبة العالم وامتلائه  
بمحبة ربنا يسوع الساكن فيه .

### • مفاهيم أخرى :

( أ ) بخور حب تتقد للرب .

(ب) تحرر من عبودية العالم .

(جـ) مشاركة لأعضاء جسد الرب المتألّمة .

( د ) الصدقة وزنة يلزم إضرارها بأمانة .

( هـ ) الصدقة علامة صادقة عن التوبة .

\* وعظيم هو عمل العطاء وكثيرة هي بركاته ، فبالعطاء :

{١} نتمثل بالله صانع الخيرات :

الإله الحى صانع الخيرات ، يفيض بمحبته على البشر ،  
وهكذا إذ تمتد يدنا بعمل المحبة لإخوتنا نكون قد تشبهنا ،  
وكما يقول الآباء :

(أ) ليس شئ يجعلنا هكذا مقربين من الله وعلى شبهه  
مثل هذا العمل الحسن .

(ب)الصدقة قوية وذات سلطان حتى تحل القيود  
والأغلال ، وتبدد الظلام ، وتخدم سعير نار حبهم ،  
وتؤهل فاعليتها للتشبه بالله لقوله : " كونوا رحماء  
كما أن أباكم الذى فى السموات هو رحيم " .

{٢} تصير لنا دالة عند محب البشر :

الرحمة تصعد الإنسان إلى علو شامخ وتعطيه دالة  
بليغة عند الله .

{٣} نعتق من الدينونة :

وكما يقول سفر الأمثال : " بالرحمة والحق يستر الإثم  
وفى مخافة الرب الحيدان عن الشر . " [ أم١٦ : ٦ ] .

• " فارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة على  
المساكين لعله يطال اطمئنانك " [ دا٤١ : ٢٧ ] .

• " بل اعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شئ يكون

نقياً لكم . [ لوقا : ١١ : ٢٤ ] .

[ ٤ ] تنال بركات زمنية و حياة أبدية :

من له نفس محبة رحومة يكون كمن له كنز من البركات ، إذ تكون ينبوعا لإحتياجات إخوته ومصدر تمتع بكل المكافآت التي أعدها الإله .

لقد وعد الرب أن من يترك من أجله يأخذ فى هذا العالم مائة ضعف وفى العالم الآتى الحياة الأبدية .. هكذا لا يترك الرب نفسه مديناً دون أن يفى دينه مضاعفا .

[ ٥ ] بالصدقة نقرض الرب :

\* " من يرحم مسكينا يقرض الرب " .

لم يقل " يعطى بل يقرض " ، وذلك لأن الكتاب المقدس يعلمنا حب الاغتناء .

فإننا لا نمل من الاغتناء ، بل دائما ننظر الزيادة ونطلبها لذلك قال : " يقرض الرب " .

أما تقبل أن يكون الله مدينا لك لا دائنا ، وأنت تعلم أن المدين يوقر الدائن ، أما الدائن فلا يستحى منه المدين .

القديس يوحنا ذهبى الفم

## [٦] الصدقة تفتح باب السماء :

العطاء بالحب والغبطة والسرور . والعطاء من الاحتياج  
ومن أجل الله يكون له فاعلية .  
يجعل الصلاة مقبولة ترتفع أمام عرش الله كرائحة سرور  
يشتمها الرب رائحة رضي .

• [ انها تفتح أبواب السماء ، لأنه يقول : " إن  
صلواتك وصدقاتك قد ارتفعت قدام الله . " .

فهي أكثر ضرورة من البتولية ، لأنه بدونها خرجت  
العذارى الجاهلات من الخدر ، بينما دخلت الأخريات  
بسعة ] .

القديس يوحنا ذهبى الفم

## رابعاً : القراءة الروحية

قال الآباء عبارتهم المشهورة : " القراءة هي ينبوع الصلاة النقية " .

وأوصى معلمنا بولس الرسول تلميذه تيموثاوس قائلاً :  
" إلى أن أجيء أعكف على القراءة والوعظ والتعليم "  
[ ١تى : ٤ : ١٣ ] .

وتنقسم القراءة الروحية إلى قسمين : القراءة فى أسفار الكتاب المقدس ، والقراءة فى الكتب الروحية بصفة عامة إن حياة يسوع تعطينا فكرة عن قيمة الكلمة فى حياتنا .  
فى التجربة على الجبل ، وفى كل مناسبة تعرض لها ، إلى أن صرخ على الصليب قائلاً : " إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيرى . " [مز ٢٢ : ١ ]  
علمنا كيف يجب أن نحفظ كلمة الله فى قلوبنا ونتسلح بها فى جهادنا ضد أعدائنا ...

- من أقوال مار اسحق السرياني فى الاهتمام بالقراءة :  
[١] من القراءة ينجع الفكر ، لكي ما يفتنى عنه وحياة ونقاوة إلا من الصلاة .

[٢] القراءة تجعل الإنسان الخفى خليفة جديدة . ومن الصلاة ينفخ فيه روح الحياة ، والحرارة الإلهية تلهب العقل فى كل وقت ليطير من الأرضيات ويحل فى مسكن الحياة .

[٣] الزم القراءة إن أمكنك ... لأنها ينبوع الصلاة النقية وعونها .

[٤] حرارة النفس تتولد من القراءة الدائمة فى تدبير السكون المقرون بأعمال تواتر الصلاة .

[٥] حسن الصلاة إذا امتزج بالقراءة الدائمة بافراز يوصلنا إلى هذيد العقل .

[٦] عندما يدنو الإنسان إلى الصلاة فإن تذكر القراءة يلهب المصلى بافهام الكلام الصحيح الذى قيل عن الله القدوس الممجد .

## خامسا : فضيلة الدموع

" العيون المرفوعة لله لا تتخذل أبدا ... "

إن داود رجل الصلاة اختبر الدموع وعرف قوتها ،  
وكثيرا ما يحدثنا عن الدموع فى مزاميره ..

" تعبت فى تنهدي . أعوم فى كل ليلة سريري . بدموعي  
أذوب فراشي " {مز ٦ : ٨} ..

" استمع صلاتي يارب واضع إلى صراخي . لا تسكت  
عن دموعي . لأني أنا غريب عندك نزيل مثل جميع  
أبائي . " {مز ٣٩ : ١٢} .

لقد اتخذ رجال الله فى كل زمان ، من الدموع وسيلة لنيل  
طلباتهم من الرب بالتذلل . هكذا فعل أيوب الصديق :  
" خطت مسحا على جلدي ودسست فى التراب قرني .  
احمر وجهي من البكاء " [أى ١٦ : ١٥ ، ١٦] .

وأرميا النبي صاحب المراثي كانت أمنيته :  
" يا ليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع فأبكي نهارا  
وليلًا قتلى بنت شعبي . " [أر ٩ : ١] .

والرب يدعونا لذلك فيقول على فم يوثيل النبى : " ارجعوا إلى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح... " [يو٢ : ١٢] .  
من أجل هذا طوب رب المجد العيون الباكية : " طوباكم أيها الباكون الآن " [لو٦ : ٢١] .

### - أقوال الآباء عن الدموع :

[١] اسكبوا أمام الله الدموع لتصير صلاتكم كالبخور قدامه . مجارى المياه لوقت الحريق ، ومجارى الدموع فى زمن التجربة . الماء يخمد لهيب النار ، والدموع تطفى شهوة الشر .

القديس مارا فرام السرياني

[٢] العين الباكية هى جرن دائم لمعمودية التوبة والتجديد

يوحنا الدرعى

[٣] طوبى للباكين من أجل الحق ، لأنه من خلال دموعهم يرون باستمرار وجه الله .

مارا سحق السرياني

[٤] استعمل الدموع عند سؤالك ما تتمناه ، لأن الرب يفرح جدا بالصلاة التي تكون بالدموع ، ويبتهج لها ويقبلها سريعا .

القديس الأنبا أوغريس

• ماذا تفعل الدموع؟! .

(١) ترد غضب الله . (٢) تخلص من الضيقات .

(٣) تتجى من الموت .

(٤) تجذب النفوس البعيدة من وهدة الهلاك .

من أجل هذا تحت الكنيسة أبناءها على طلب الدموع بأوفر اجتهاد من الله .

وقد عبرت عن ذلك فى قطع الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل ، فيقول : " اعطنى يارب ينابيع دموع كثيرة كما أعطيت منذ القديم للمرأة الخاطئة ، واجعلني مستحقا أن أبلل قدميك التي اعتقتانى من طريق الضلالة .. " .

الفصل الرابع :

## فضائل من أجل الآخرين

## أولاً : فضيلة الخدمة .

### ما هي الخدمة ؟!

- \* **الخدمة هي** : رسالة حب تفيض من إنسان إلى آخر .
- أو هي عبارة روحية تنتقل من خلال العمل الكنسي .
- ولكن الهدف الحقيقي هو خلاص النفس .
- إذن هدف الخدمة هو خلاص النفس ، وهو بناء الملكوت .
- يقول معلمنا يعقوب الرسول : " فليعلم أن من رد خاطئاً عن ضلال طريقه يخلص نفساً من الموت ويستتر كثرة من الخطايا " [يع ٥ : ٢٠] .
- وطبيعي أنك لا تستطيع أن تعمل في بناء الملكوت وحدك ، بل بشركة مع الله .
- وقد قال السيد الرب : " بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " [يو ١٥ : ٥]

### \* **الخدمة هي شركة مع الله في العمل .**

- قال معلمنا بولس الرسول : " نحن عاملان مع الله " [١كو ١٣ : ٩] . فكر إذن : هل أنت تعمل مع الله ، أم تعمل وحدك ؟ .

وعليك بأن تعمل مع الله ، تشرك الله معك .

كما تقول الأوشية : " اشترك في العمل مع عبيدك في كل عمل صالح " .

وإن كانت الخدمة هي عمل الله فيك وبك ومعك ، يجب عليك :

[١] الامتلاء من الله .

الامتلاء هو الوسيلة التي توصلك إلى هدفك من الخدمة وقال معلمنا بولس الرسول : " امتلئوا بالروح " [أف : ٥ : ٨] [٢] محبة الناس من أجل خلاصهم .

تحب الناس ، فتريد لهم أن يحبوا الله ، كما أحببته أنت ، وأن يذوقوا ما أطيب الرب كما ذقته أنت وبهذا الحب تعرفهم طريق الرب وتعرفهم اسمه .

وكما قال السيد المسيح فى حديثه مع الأب عن تلاميذه : " وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم " [يو : ١٧ : ٢٦] .

[٣] الصلاة من أهم وسائل الخدمة .

ليست الخدمة هي مجرد تعبك وسعيك ووعظك وتعليمك ،  
إنما لكى يأتي كل هذا بثمر ، ينبغي أن تسكب نفسك أمام  
الله فى الصلاة ، لكى تعطى الكلمة النافعة ، كما قال  
معلمنا بولس الرسول : "مصلين بكل صلاة وطلبة كل  
وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة  
لأجل جميع القديسين . ولأجل لكى يعطى لي كلام عند  
افتتاح فمي لأعلم جهارا بسر الإنجيل . " {أف: ٦ : ١٨ ، ١٩} .  
إن كان القديس بولس يطلب هذا ، فكم بالأولى نحن ؟! .  
عليك أيضا أن تصلى ، لكى يعطى الله قوة للكلمة ،  
فتدخل إلى قلوب الناس ، وتحدث تأثيرها ، وتأتى بثمر .  
**[٤] السلوك فى الخدمة باتضاع .**

لأن كثيرين يخدمون ، وينسون أنهم خدام ، وفى ذلك ما  
أجمل صلاة القديس اوغسطينوس من أجل رعيته ، إذ  
يقول : " أذكر يارب سادتى ، عبيدك ... " .

## ثانيا : فضيلة عدم الإدانة

" لا تدينوا لكي لا تدانوا . لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون . وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم . ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك . وأما الخشبه التى فى عينك فلا تفتن لها " (مت ٧: ١-٣) .

إن كنا نطلب لأنفسنا الحياة النقية الداخلية هذا يليق بنا . فمن الناحية الأخرى فإن الحكم على الآخرين أو إدانتهم يسحب قلوبنا من التركيز على ما هو لخلص أنفسنا وبنياننا الروحي ، إلى إدانة الناس والحكم عليهم . والإدانة تفقدنا طبيعة الحب نحو اخوتنا فنخسر نعمة محبة الله لنا الساترة علينا ، ففيما نحن نحكم على الغير يُحكم علينا ..

### • لماذا ندين الآخرين؟! .

(١) لا ندين لأننا لا نملك حق الدينونة ، لأن الدينونة لله وحده . " واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك . فمن أنت يا من تدين غيرك . " [يع ٤: ١٢] .

(٢) لا ندين لأننا تحت الضعف . لأن الذى يدين يفعل نفس الأمور عينها . " لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين . لأنك فى ما تدين تفعل تلك الأمور عينها " [رو٢ : ١] .

(٣) لا ندين لأن الله يطيل أناته علينا لكى يقتادنا إلى التوبة " أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول آناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة " [رو٢ : ٤] .

(٤) لا ندين لكى لا ندان ، ولا نحكم على أحد فى يحكم علينا . " لا تدينوا فلا تدانوا . لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم . اغفروا يغفر لكم . " [لو٧ : ٣٧] .

أقوال الآباء :

(١) أظن أننا نتعلم من هذه الوصية ضرورة افتراض أحسن قصد ممكن لأعمال الآخرين التي يمكن لنا أن نشك في نيتها .

القديس اغسطينوس

(٢) استر على الخاطئ من غير أن تنفر منه لكيما تحملك رحمة الله .

(٣) من كان ضميره دائماً يهذى بالصالحات ، لا ينظر إلى نقائص قريبه .

(٤) من يزيل من ضميره هفوات قريبه ، يزرع السلام في قلبه .

(٥) إياك أن تسمع بسقطة أحد اخوتك لئلا تكون دنته خفيه

(٦) احفظ سمعك لئلا تجمع لك حزناً في ذاتك .

(٧) خير للإنسان أن يضع نفسه للموت من أن يضع جاره ولا يدينه في شيء ما .

القديس موسى الأسود

٨) لا تقتري على أحبك ولو رأيتَه عاجزاً عن اتمام جميع الفرائض ، لئلا تقع فى أيدى أعدائك وتفعل الخطايا القديمة التى فعلتها .

٩) اياك أن تعيب أحداً من الناس لئلا يبغض الله صلاتك ولا تعير أحداً مهما كانت الأسباب .

القديس الأنبا انطونيوس

١٠) المحبة لا تعرف أن تدين رفيقها ، ولا تكفى بالسيئات .

الأنبا تيموثاؤس

١١) ان شئت أن تجد راحة فى هذه الدنيا ، قل فى كل أمر تعمله : أنا ما أنا . كما لا تدن أحداً .

أحد الأباء الشيوخ

١٢) إياك أن تقول فى قلبك من جهة إنسان ، انك احرص منه أو أكثر معرفة منه أو أبر منه ، بل اخضع لنعمة الله ولروح الحكمة ، والحب الذى ليس فيه غش ، لئلا تنطفئ بالعظمة وتضيع تعبك . لأنه مكتوب : يا أيها الذى تظن أنك قائم أحذر لئلا تسقط .

أحد الأباء الشيوخ

- اسم الكتاب : التوبة واقتناء الفضائل  
المؤلف : حضرة صاحب النيافة الأنبا ياكوبوس  
الطبعة : الأولى - مارس ٢٠٠٧  
الناشر : كاتدرائية السيدة العذراء وماريوحنا الرسول بالزقازيق  
رقم الايداع :  
الرقم الدولي :